

قصص القرآن

للاطفال والناس

تأليف

مُسَعِّد حَسَيْن مُحَمَّد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُهَاجَرَةٌ

الحمدُ للهُ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللهِ وَبَعْدُ،

لقد كان للقرآن العظيم الدور الكبير في تعليم الكبار والصغار عن طريق القصة الحقيقة الهدافـة، وكذلك اعـتنى رسول الله ﷺ بتربية الصحابة رضـوا الله عنـهم الكبارـ منهم والصغارـ بالقصـة، ومن أجل تقديم القصـة القرآـنية بـأسلوب سهل وـميسـر كان هـذا الكتابـ «قصـص القرآن لـلأطـفال»، والـذي سـلكـتـ فيه نفسـ مـسلـكـ وـطـرـيقـةـ كـتابـيـ الأولـ الـذـي قـدمـتـه لـلـأطـفالـ «قصـص الأنـبياء لـلـأطـفالـ» نـسـأـلـ اللهـ أـنـ يتـقـبـلـ الكـتابـينـ وـأـنـ يـجـعـلـ لـهـماـ الـقـبـولـ، وـأـنـ يـكـوـنـ عـونـاـ لـأـطـفالـنـاـ عـلـىـ فـهـمـ مـقـصـودـ القـصـصـ القرـآنـيـ إـنـهـ عـلـىـ ذـلـكـ قـدـيرـ، وـصـلـىـ اللهـ عـلـىـ نـبـيـنـاـ مـحـمـدـ وـعـلـىـ آـلـهـ وـصـحـبـهـ وـسـلـمـ.

كتـبـهـ

مُسـئـلـ حـسـيـانـ مـحـمـدـ

حدائقـ كـفـرـ الدـوارـ الـبـحـيرـةـ

فيـ ١٤٣٢ـ هـ - ٢٠١١ـ مـ

قصةٌ

قابيل وهابيل

هبط آدم إلى الأرض، وبكى آدم وبكت حواء، فقد انتهت أيام الجنة سريعاً، وكانت أياماً طيبة لاجوع فيها ولا عطش بينما في الأرض الجوع والعطش والشقاء وتلقى آدم عليه السلام من ربه كلماتٍ فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم، وكان آدم قد علّمه ربُّه الأسماء كلَّها، فكان يعرف الزراعة ويعرف أسماء النباتات والحيوانات، فبدأ آدم يبحث عن البذر حتى يغرسه، ويستقي الأرض بالماء، ثم يحصد الزرع ويفرُّكه ويطحنه ثم يعجنه ويضعه على النار ثم بعد ذلك يأكلُ هو وحواء!!

وكان آدم يقول في نفسه: أنا وحواء وحدنا لاثالث معنا على الأرض.

وتذَكَّر أنَّ اللهَ وعد أنه سيكون له أولادٌ سيملاُون الأرض ويعمرون الأرض، فانتظرَ متى يولُّد له الأولاد.

وكانت المفاجأة: حملت حواء، وفرح آدم لأنَّه سيصيرُ أباً، وتعيَّبت حواء وقامت ما تقاسيه النساء في شهور الحمل، من

اللَّمْ وَالتَّعْبُ حَتَّى كَادَتْ أَنْ تَمُوتَ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ قَبْلَ أَنْ تَضَعَ
مَا فِي بَطْنِهَا، وَجَاءَتِ السَّاعَةُ الْمُرْتَقِبُهُ الَّتِي سَتَضَعُ فِيهَا حَوَاءُ مَا فِي
بَطْنِهَا، فَوَهَبَهَا اللَّهُ وَلَدًا وَبَنِتَأْيَ تَوَأْمًا مِنَ الذَّكِّرِ وَالْأَنْثَى.

وَنَظَرَ آدَمُ إِلَى وَلِيدَيْهِ فَسَمِّيَ الْوَلَدُ «قَابِيلَ» وَالْبَنْتُ «إِقْلِيمِيَاءُ»،
وَكَانَتْ جَمِيلَةً جَذَابَةً مَنْ نَظَرَ إِلَيْهَا لَا يَمْلُّ مِنْ وَجْهِهَا.

وَلَمْ تَمْضِ إِلَّا أَشْهُرٌ مَعْدُودَاتٌ حَتَّى حَمَلتْ «حَوَاءُ» بَذْرَةً
جَدِيدَةً، وَذَاقَتْ مَرَارَةَ الْحَمْلِ إِلَى أَنْ جَاءَهَا وَقْتُ الْوَضْعِ، فَكَانَتْ
الثَّمْرَهُ تَوَأْمًا جَدِيدًا «ذَكَرًا وَأَنْثَى» فَكَانَ الْوَلَدُ هُوَ «هَابِيلُ» وَالْبَنْتُ
«لُبُودًا»، وَشَبَّ الْأَبْنَاءُ الْأَرْبَعَهُ سُوِيًّا فِي حَجْرِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَعَلَى
عَيْنِ الْأَمْ حَنُونَهُ «حَوَاءُ»، وَكَانَتْ «إِقْلِيمِيَاءُ» أَكْثَرَ جَمَالًا وَحَيْويَهُ
مِنْ «لُبُودًا»، وَلَمْ يَكُنْ هَذَا يَشْغُلُ آدَمَ الَّذِي أَحَبَّ أَوْلَادَهُ جَمِيعًا
بِغَيْرِ تَفْرِقَهِ.

وَحِينَ كَبَرَ الصَّغَارُ بَدَأُوا يَسْاعِدُونَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أَعْمَالِهِ،
فَاخْتَارَ قَابِيلُ زِرَاعَهُ الْأَرْضَ وَحَرْثَهَا، وَالْقِيَامَ عَلَيْهَا حَتَّى يَنْبَتِ
الْزَّرْعُ فِي حَصْدِهِ، وَيُطْعَمَ مِنْهُ عَائِلَتَهُ.

واختار هابيل رعي الأغنام والماشية في الحقول الخضراء،
ليشربوا من لبنها، ويأكلوا من لحمها، ثم تصنع من أصوافها،
وأشعارها، وأوبارها^(١)، أثاثاً^(٢)، وملابس، وأغطية.
وأما «إقليمياء» و «لبدوا» فكانتا في الدار مع حواء تخدمانها،
وتساعدانها في أعمال المنزل.

واجتمعت أسرة آدم حول الطعام بعد أن غابت الشمس في
الافق.

وببدأ الجميع في تناول الطعام إلا أن «قابيل» و «هابيل»
كُلُّ منها راح يسترق^(٣) النظرات إلى الجميلة «إقليمياء» حتى
فضحْتُهم عيناهما التي تركزت على الأخِتِ الجميلة.

ولم يخف ذلك على آدم الذي أحسَّ الآن بأن الشابين «قابيل»
وهابيل» قد أصبحا في سن الزواج وأن عليه أن يزوجهما.

(١) الأوبار: جمع «وبر»، وهو شعر الجمل.

(٢) أثاثاً: الأثاث هو ما يوضع في البيت من فراش، وغيره.

(٣) يسترق: يسرق.

ولأنه لم يكن على وجه الأرض إلا هؤلاء فقط فقد كانت شريعة آدم ودينه يقولان بتزوج الأخ من أخته.

ولكن على شرط أن يتزوج من أخته التي لم تولد معه في بطن واحدة، وبذلك يتزوج «قابيل» من «لبودا» التي ولدت مع هابيل.

ويتزوج «هابيل» من «إقليمياء» الجميلة التي ولدت مع قابيل^(١).

وعزم آدم على أن يجده ولد في أمر زواجهما بعد الانتهاء من الطعام.

وانتهى آدم وأبناؤه من الطعام فقال وهو يبتسم إلى ولديه:

آن الأوان، لنرى أولادنا وأحفادنا، فليتزوج قابيل وهابيل.

(١) وبعد أن كثُر الناس تغيرت هذه الشريعة ولم يُعد جائزًا أن يتزوج الأخ بأخته بل حرمت عليه تحريرًا مؤبدًا.

وَفَرَحَ الْوَلَدَانِ، وَخَجَلَتِ الْبَنَاتِ حَتَّى احْمَرَّ وَجْهَا هُمَا، ثُمَّ
تَابَعَ آدُمُ كَلْمَاتِهِ قَائِلًا:

﴿فَلَيَتَزوَّجْ قَابِيلٌ مِّنْ لَبُودَا، وَهَابِيلٌ مِّنْ إِقْلِيمِيَاءِ.
وَفَرِحَ الْجَمِيعُ إِلَّا قَابِيلَ الَّذِي صَرَخَ صَرْخَةَ الغَاضِبِ
قَائِلًا:

﴿لَنْ يَتَزوَّجَ هَابِيلٌ مِّنْ إِقْلِيمِيَاءِ، إِنَّهَا لِي وَحْدِي، وَأَنَا أَحَقُّ
بِهَا مِنْ هَابِيلَ.

فَأَرَادَ آدُمُ أَنْ يَهْدِي مِنْ وَلْدِهِ فَقَالَ:

﴿يَا قَابِيلُ إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهَا عَلَيْكَ، وَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِهَا بِيلُ،
فَأَطِيعِ اللَّهِ.

قَالَ قَابِيلُ:

﴿لَا لَنْ أَطِيعَ إِلَّا نَفْسِي، إِقْلِيمِيَاءُ لِقَابِيلِ لَيْسَتْ لِهَا بِيلُ،
وَلَيَتَزوَّجْ هَابِيلُ مِنْ لَبُودَا وَأَحْسَّ قَابِيلَ بِنَارٍ تَوْقَدُ فِي صَدْرِهِ
وَقَلْبِهِ، وَنَظَرَ إِلَى «إِقْلِيمِيَاءَ» فَوَجَدَهَا أَجْمَلَ بِكَثِيرٍ مِّمَّا كَانَ يَرَاهَا

كأنها الشمس التي أضاءت الليل، ولم يكن يدرى أن عدوه هو
الذى أودى هذه النار في صدره وقلبه... إنه الشيطان!!

خرج قابيل والغيط يكاد يقتلُه، ومشى ناظراً إلى الأرض
لا يعلم إلى أين؟ أو إلى أي مكان يذهب ويُسِير^(١)؟ ولا شيء
في عقله إلا «إقليمياء».

ووجد الشيطان قابيل فريسة سهلة، فراح يوسموس له،
ويتسلل إلى قلبه قائلاً:

﴿هابيل.... ذلك الذي يفضلُه عليك آدم، ويُحبُّه،
وسيزوجه الجميلة «إقليمياء» تاركاً إياك مع القبيحة «لبودا»﴾.

وراح الشيطان يزيدُ من نار العداوة ويشعلُها فيقول
لقابيل:

﴿هابيل الراعي الذي لا يتعبُ في شيء، وقابيل الفلاح
الذي يصحو مبكراً، ويرعي الأرض، ويحرثُها ويحصدُ الحبَّ،
ويفرُّكُه، ويذرُّوه.. ثم بعد ذلك يزوجونه «لبودا» القبيحة، ويفوزُ
هابيل «إقليمياء» ليس هذا بالعدل﴾.

(١) يسِير: يمشي.

وَنَسِيَ قَابِيلُ أَنَّ كُلَّ عَمَلٍ لَهُ مَتَاعِبُهُ وَمَشَقَّتُهُ، وَأَنَّ رَاعِي الغَنْمِ يَتَعَبُ فِي رَغْيِ أَغْنَامِهِ، وَهُوَ الَّذِي يَحْفَظُ عَلَيْهَا مِنَ الذَّئَابِ، وَيَدَاوِي الْمَرِيضَ مِنْهَا، وَيَسِّيقُهَا وَيُطْعِمُهَا، وَيَتَعَهَّدُهَا بِالرِّعَايَةِ.
وَلَكِنْ عَلَّا صَوْتُ الشَّهْوَةِ وَارْتَفَعَ، وَأَقْسَمَ قَابِيلُ أَنْ إِقْلِيمِيَاءَ لَهُ وَحْدَهُ، وَلْيَكُنْ مَا يَكُونُ وَعَادَ إِلَى بَيْتِهِ فَوْجَدَ أَبَاهُ لَا يَزَالُ مُسْتِيقَظًا وَعَلَامَاتُ الْحَزْنِ عَلَى وَجْهِهِ، فَقَدْ تَسْلَلَ الشَّيْطَانُ إِلَى وَلْدِهِ وَهُوَ يُحِبُّ قَابِيلَ وَهَابِيلَ عَلَى قَدْرِ وَاحِدٍ، فَقَالَ آدَمُ:

● **يَا قَابِيلُ:** قَرِّبْ قُرْبَانًا أَيْ شَيْئًا مِنْ زَرْعِكَ تَهَبُّ لِللهِ تَعَالَى، وَيَقْرُبُ هَابِيلُ قُرْبَانًا مِنْ غَنْمِهِ، فَأَيْكُمَا تَقْبَلُ اللَّهُ قُرْبَانَهُ فَهُوَ زَوْجُ «إِقْلِيمِيَاءَ».

وَقَبِيلُ الْاثْنَانِ الْفَكِرَةُ، فَاسْتَعَدَّ لِالتَّقْدِيمِ الْقُرْبَانِ إِلَى اللهِ تَعَالَى.

أَمَّا آدَمُ فَقَدْ جَاءَ وَقْتُ الْحَجَّ فَذَهَبَ إِلَى الْكَعْبَةِ يَطْوِفُ بِهَا، فَتَرَكَ الْهَنْدَ إِلَى مَكَّةَ، وَاسْتَعَدَّ الْأَخَوَانُ قَابِيلُ وَهَابِيلُ لِلتَّقْدِيمِ الْقُرْبَانِ إِلَى اللهِ تَعَالَى.

كانت علامة قبول الله تعالى للقربان أن تنزل ناراً بيضاء من السماء تأكله، أما إذا لم يقبل الله هذا القربان فإنه يظل على الأرض ليفسد فلا يقربه إنسٌ ولا حيوانٌ ولا طائر.

وخرج هابيل إلى غنمه وما شيته فاختار أسمئتها، وأجملها، وأقواها ليقدمها إلى ربه عزوجل فإنَّه يحبُ الله، ومن أحبَ الله فليقدم خيراً ما عندَه، وقد فعل هابيل.

أما قابيل الذي لا يحب إلا نفسه فقد خرج إلى زرعه وأرضه فاختار شرّ ما أخرجه أرضه من حبٍ وزرع ليقدمها قرباناً لربه، فهو الذي لا يحب إلا نفسه، فلن يقدم لغيره إلا شرّ ما يملك.

ووضع الاثنين قربانهما على قمة جبل من الجبال، وانتظرا قضاء الله فيهما.

ومرَّ الوقت، وهابيل يعلمُ أن قربانه سيقبله ربُّه، وقابيل يُمني نفسه كذباً بأنه هو الفائز، ولكن النتيجة قد عُرفت مقدماً: سيقبل الله قربان هابيل.

ونزلت النار من السماء بيضاء كأنها الرُّمح القاتل الذي
يعرف صاحبه أين مرماه، فأخذت سريعاً قربان هابيل فسجد
شكراً لله، وبقي قربان قابيل الظالم لم يتقبله الله.

وسارع الشيطان بالحضور فجاء إلى قابيل عن يمينه، وعن
شماله، ومن أمامه، ومن خلفه، ومن بين يديه صارخاً فيه:
إقليمياء ضاعت منك، لقد دعا آدم ربّه ليقبل قربان هابيل،
وتركتك وحدك فافعل شيئاً.

فصرخ قابيل في وجه هابيل: لا قتلتني فقال هابيل
باطمئنان وسکينة: إنما يتقبل الله من المتقيين، لئن بسطت إلى
يدك لقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لا قتلتك إني أخاف الله رب
العالمين إني أريد أن تبوء^(١) بإثمك وإثمك فتكون من أصحاب
النار وذلك جزاء الظالمين.

ثم انصرف هابيل، وكان قابيل أقوى من هابيل إلا أنه
لم يطع الشيطان، ولم يسمع له، فلن يؤذني أخاه، ولو كان الثمن
هو عمره وحياته.

(١) تبوء: تستحق، والإثم هو الذنب.

وجاءَتِ الأفكارُ السيئةُ إلى رأس قابيلَ كأنها الأمواجُ العالية
في بحرِ مظلم، لقد انتهت كلُّ الحِيَل وسيتزوج هابيلُ بإقليمياء.
وراح يمشي في الأرض حيرانً حتى حملته قد़مُه إلى داره،
فلم يَنْمِ ليته وهو الذي يرى أنَّ السَّماءَ والأرَضَ ضِدُّه لصالح
هابيل.

ولَعِبَ الشَّيطانُ بِرَأْسِه، كما يلعبُ الصَّيَانُ بالكرة، ومرَّ
اللَّيلُ ومضى، وجاءَ الصَّبُحُ وقابيلُ على رأي واحد:
﴿لَا قَتَلْنَاكَ يَا هابيل﴾.

قتل قابيل أخاه هابيل

خرج هابيلُ يرعى غنمَه، ومن بعيدٍ كانت عيناً قابيلَ
تراقبُه، وبينما هابيلُ منهمكُ في عمله إذ جاءَ قابيلُ بصخرة كبيرة
من ورائه فضربه على رأسه فسالت دماً وخرَّ قتيلاً.

وانفجر الشَّيطانُ ضاحكاً قد كسب جولةً جديدةً في معركةٍ
ضدَّ آدم، أخرجه أوّلاً من الجنة، ثم ها هو الآن يشهد قتلَ الأخ
لأخيه.

وصار قابيلُ أمّاً جسد هابيلَ الميّت بلا حركة، وما يدرِي ما الذي سيفعلُه.

غраб يقتل غرابة ثم يدفنه في التراب

حمل قابيل جثة أخيه على كتفيه وظل يمشي بها لا يعلم ما العمل؟ وبينما هو تعب قد أعياه^(١) المسير إذ رأى غرايبين يقتتلان حتى قتل أحدهما الآخر.

إذا بالقاتل يحفر حفرة في الأرض ليضع فيها المقتول، فعلم قابيل أن الله قد بعث له هذين الغرايبين فبكى وقال:

يا ويلتَى أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأَوَارِي^(٢) سوءة أخي؟!

ثم قام إلى الأرض فحفر لأخيه ووضعه فيها ليكون أول قبر في الأرض، لأول قتيل يحفره أول قاتل.

فلقد قتل قابيل سدس سكان الأرض في ذلك الوقت.

(١) أي أجده، وأتعبه، وأضناه.

(٢) أواري: أستر وأدفن، سوءة: عورة.

وَعَادَ آدُمٌ مِنْ حَجَّهُ لِيَجِدَ أَحَدًا قَاتِلًا وَالآخَرَ قَاتِلًا،
فَإِذَا بِالْأَرْضِ لَا تَمْتَصُّ دَمَاءَ هَابِيلَ، وَالنَّبَاتُ يَنْبُتُ لَهُ شُوكٌ
بَعْدَ أَنْ كَانَ بِغَيْرِ شُوكٍ، وَالحَيَوانَاتُ تَفَرُّ مِنَ الْإِنْسَانِ بَعْدَ هَذِهِ
الْجَرِيمَةِ الْبَشِّعَةِ.

وَرَأَى آدُمُ وَلَدَهُ قَابِيلَ قَدْ أَخْذَ «إِقْلِيمِيَّاءَ» وَجَرَى بِهَا بَعِيدًا،
فَقَالَ:

﴿اذهبْ غَضْبُ اللَّهِ عَلَيْكَ، وَغَضْبِي عَلَيْكَ وَعَلَى مَنْ
يَفْعُلُ مِثْلَمَا فَعَلْتَ﴾.

لَقَدْ كَانَ الْجَزَاءُ مِنْ جَنْسِ الْعَمَلِ فَقَدْ قُتِلَ قَابِيلٌ أَحَدُ أَوْلَادِهِ،
وَصَارَ كُلُّ قَتِيلٍ يُقْتَلُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ يُضَافُ ذَنْبُ قَاتِلِهِ إِلَى
قَابِيلَ لِأَنَّهُ الْقَاتِلُ الْأُولُّ.

أَمَا آدُمُ فَقَدْ أَعْطَاهُ اللَّهُ أَوْلَادًا كَثِيرِينَ، وَانْتَصَرَ الْخَيْرُ عَلَى
الشَّرِّ: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأً أَبْنَيَ إِدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَبَا قُرْبَانًا فَنَقِيلَ
مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُنَقِّبَ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَاَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ
اللَّهُ مِنَ الْمُنَّقِّبِينَ﴾ ٢٧

إِلَيْكَ لَا إِقْنُوكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوَا

بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾

فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ، قَتَلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ، فَأَصْبَحَ مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿٣٠﴾

فَبَعَثَ اللَّهُ عَرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ

أَخِيهِ قَالَ يَوْمَئِنَّ أَعَجَّرْتُ أَنَّ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغَرَابِ فَأَوْرَى

سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّدِيمِينَ ﴿٣١﴾ [النَّازٰةٌ : ٢٧ - ٣١].



قصةٌ

ذو القرنين ويأجوج وmajog

وُلِد ذو القرنين في الزمن القديم وهو من نسل نوح عليه السلام، وكان أبوه ملكاً من الملوك فلما مات أبوه صار ملكاً على مملكة أبيه من بعده وهذه الدنيا وهذه الأرض ملك أغلبها أربعة رجال منهم اثنان مسلمان وهم ذو القرنين وسليمان عليهما السلام وأثنان كافران النمرود وبختنصر، فذو القرنين من هؤلاء الأربعة الذين ملكوا غالبَ الأرض.

وكان اسمُ ذي القرنين هو «هرمس» لكنه أحبَّ لقبَ «ذي القرنين»، ولقب بذى القرنين لأنَّه طاف في مشرق الأرض ومغارِبها حتى وصل إلى قرنيِّ الشمس، فلو نظرتَ إلى الشمس لرأيتها تخرجُ لها مثلُ قرنِيِّ الشُّور، لأنَّ الشيطانَ ينصبُ قرنيه عند خروج الشمس في الصباح وعند غروب الشمس في المساء، ولذلك الصلاةُ في هذين الوقتين غير مستحبة، وقيل إنه سمي بذى القرنين لأنَّه كان يلبس خوذةً فيها قرنان فسمى بذى القرنين، (والخوذة هي غطاء من حديد يوضع على رأس المقاتل).

ذو القرنين مع نبی اللہ ابراہیم

خرج «ذو القرنين» بجیشه یبحث عن حقيقة الإيمان حتى
لَقِيَ نبیَ اللہ ابراہیم عَلَیْهِ السَّلَامُ، وأسلم على يديه وطاف معه حول
الکعبة، ثم عاد إلى بلاده مرة أخرى.

وأعطى اللہ ذا القرنين وزراءً من رجال الإيمان والحق
والصلاح.

وأعطى ذا القرنين العلم في الدين والملك في الدنيا والقوة
والسلاح والرجال والوزراء من العلماء الذين يهدونه إلى الخير
والصلاح.

ذو القرنين يخرج بجیشه

جهز ذو القرنين جیشاً عظیماً لیدعو الناس إلى الله تعالى وإلى
عبادة الله وحده وكان هو قائداً الجيش واستمر يدُعُوا إلى الله في
رحلته الإيمانية التي يقودها بجیشه بحثاً عن غير المؤمنين لينشر
في الأرض الإيمان والحق والعدل ويهدي الناس إلى صراط الله
المستقيم وكان ذو القرنين قد تعلم لغاتِ أهل الأرض جميعاً

فكان يُكلّم كُلَّ شعب بلُغته، وعرَّفه الله وهداه إلى كافة الطرق
فكان يعرُّفها بهداية الله وإرشاده له.

ووصل ذو القرنين إلى غرب الأرض حيث مغرب الشمس
فرأى الأرض تغيب في عَيْنٍ حَمِئَةٍ أي أنه رأى الشمس تغيب كأنها
طينٌ أسودٌ، ثم غابت داخل الأوقاينوس^(١) وإنما رأى الشمس
كأنها طين أسودٌ من شدة الحرارة والاشتعال فيها، وأوحى الله
إلى ذي القرنين فقال:

﴿إِما أَنْ تُعَذِّبَ، وَإِما أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾

فخَيَّرَه الله بين تعذيب أهل هذه الأرض أو العدل بينهم
لأنهم كانوا كفاراً، فقال ذو القرنين:

﴿أَمَّا مَنْ ظلم فسوف نُعذبه ثُمَّ يُرْدَى إِلَى رَبِّهِ فَيُعذَّبُهُ عَذَابًا
نُكْرًا﴾^(٢)، وأما مَنْ آمن وعمل صالحًا فله جزاء الحُسْنَى وسنقول
له من أمرنا يُسْرًا.

لم يكن ذو القرنيننبياً ولكن الله تعالى كان يُلْهِمُهُ ما يفعل
وما يقول، لأن الله تعالى أَحَبَّهُ لكثره طاعته لربه، و فعله للخير

(٢) نكرًا: فظيعًا.

(١) الأوقاينوس: المحيط الهدادي قدِيًّا.

والعمل الصالح، وبعد المسير إلى مَغْرِبِ الشَّمْسِ، أراد الوصول إلى مشرقها فانطلق جيشه الجرار ليمرى عجباً جديداً في أرض الله.

نحو مشرق الشمس كان جيش ذي القرنين يسير ليمرى عجائب خلق الله تعالى، وصار يفتح البلاد بلداً تلو الأخرى، ومن كفر عذبه أو قاتله حتى آمن بالله تعالى، وفي الطريق كان يرى من المؤمنين عباداً لله يُرحبون به، فيقيم بينهم زماناً يعلمهم شريعة إبراهيم عليه السلام.

وما أروع ما لقيه من خلق الله في طريقه: جبال شاهقة عالية، بحار واسعة، صحراء صفراء قاحلة، أراضي خضراء، مخلوقات عجيبة من خلق الله منها ما يطير، ومنها ما يعيش فوق الأرض، أو يبيت في جحر تحت الأرض.

اثنا عشر عاماً كانت طول هذه الرحلة حتى وصل إلى مشرق الشمس وهناك رأى عجباً آخر من خلق الله، وجد قوماً حفاةً عراةً^(١)، ليس بينهم وبين الشمس ستراً أو حجاباً فلا بيوت يسكنونها يحتمون من الشمس فيها.

(١) أي: بلا ملابس ولا أحذية.

ووجد ذو القرنين عظاماً فسأله أهل هذا المكان عنها
قالوا:

﴿ هذه عظام جيش سبقكم إلى هنا فأحرقتهم الشمس
حتى ماتوا . ﴾

ونظر ذو القرنين فوجد أهل هذه الأرض قد حفروا الأرض
حتى بنوا تحتها بيوتاً يحتمون فيها من الشمس فإذا غربت
خرجوا منها لأنهم البهائم ترعن في حقل من الحقول.

فعلمهم ذو القرنين كيف تبني البيوت التي تحميهم من
الشمس، ودعاهم إلى عبادة الله الواحد الأحد فآمن كثير منهم
بالله وحده لا شريك له، ثم استمرت رحلة ذي القرنين، فانطلق
بجيشه باحثاً عن مكان جديد، وخلق آخرين يدعوهם إلى الله.

يأجوج ومأجوج مع ذي القرنين

يأجوج ومأجوج مخلوقات عجيبة غريبة من خلق الله، لهم
أشكال وأحجام وأجسام تصيب الإنسان بالدهشة والاستغراب،
وهم من ذرية يافث بن نوح عليه السلام، أمد الله في أعمارهم وأكثر
من نسلهم.

أما أحجامُهم فمِنْهُمْ مَنْ هُوَ عَلَى طُولِ الشَّبَرِ.
وآخرٌ عَلَى طُولِ الْأَرْزِ.
وآخرٌ طُولُه وعَرْضُه سَوَاء.

وآخرٌ يَنَامْ قَدْ فَرَشَ أَذْنَانِهِ يَنَامْ عَلَيْهَا، وَتَغْطِي بِالْأُخْرَى، لَهُمْ
أَنِيَابٌ كَالسَّبَاعِ وَمَخَالِبٌ كَالْقَطِّ، وَشَعْورٌ طَوِيلَةٌ تَقِيهِمْ وَتَحْمِيهِمْ
مِنْ الْحَرَّ وَالْبَرَدِ، لَا يَمُوتُ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ حَتَّى يَكُونَ لَهُ عُمْرًا
طَوِيلًا.

وَهُمْ كُفَّارٌ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ، لَصُوصٌ لَا يُحِبُّونَ الْعَمَلَ،
يَؤْذُونَ مَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْبَشَرِ فَيَأْكُلُونَ زَرْوَعَهُمْ، وَجَبَوْهُمْ، وَكُلَّ
مَا شَيَّتْهُمْ، وَيَشْرِبُونَ الْمَاءَ فَلَا يَقُولُنَّ مِنْهُ شَيْئًا.

وَكَانُوا قَدْ جَاَوَرُوا قَوْمًا مِنَ الْبَشَرِ الْعَادِيْنَ فِي مَكَانٍ يُسَمِّي
(بَيْنَ السَّدِينِ) فَإِذَا جَاءَ اللَّيْلَ خَرَجُوا إِلَى حَقْوَهُمُ الْخَضْرَاءِ فَأَكَلُوا
زَرْوَعَهُمْ وَثَمَارَهُمْ، وَسَرَقُوا الْمَاشِيَةَ، وَكُلَّمَا دَخَرَ هَؤُلَاءِ شَيْئًا
مِنَ الْحَبَوبِ أَوِ الْمَحَاصِيلِ سَرَقُوهُ، حَتَّى جَاءَ أَهْلُ هَذَا الْمَكَانِ،
وَأَصَابُوهُمُ الرُّعْبُ الشَّدِيدُ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ.

ووصل ذو القرنين إلى (بين السدين) فوجد هؤلاء البشر
الذين ذاقوا مرّ الحياة من يأجوج وmajog.
وواجهت ذا القرنين مشكلة فهو لا يفهم لغة هؤلاء الناس،
وهم لا يفهمون لغته، حتى هداه الله إلى طريقة يفهم بها ما أرادوه،
فقد عرضوا عليه عرضاً فقالوا:

إِن يأْجُوج وَمَأْجُوج مفسدون في الأرض، فهل نجعل لك
خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً؟^(١)

فقال:

﴿ما مَكَنَّيَ فيه ربِّي خير فأعينوني بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ
رَدْمًا﴾^(٢).

فطلب العون من الله أولاً، ثم استعان بالناس، لعلهم أن
قوة الإيمان أولاً، ثم قوة البشر ثانياً.

وببدأ ذو القرنين يبني في السد، يساعدته جيشه وهؤلاء
الناس.

(١) خرجاً: مالاً وأجرة، سداً: حاجزاً.

(٢) مكني: أغانني، ردما: سداً، أعينوني: ساعدوني.

قال ذو القرنين:

آتوني زُبَر الحديد أي قطعة عظيمة من الحديد فأعطيوه هذه القطعة.

فبدأ ذو القرنين يقيس ما بين الصَّدَفين وهما الجبلان المحيطان بهذه الأرض.

ثم أمرهم بحفر الأرض حتى يلقي فيها أساساً متيناً يبني عليه السَّدَّ.

فحفروا معه بأيديهم حتى وصلوا إلى الماء تحت الأرض، ثم بدأ ذو القرنين يحفر حول جنبي هذا الأساس حتى بلغ ما بين الجبلين مائة فرسخ^(١)، وبلغ عمق الحفر وحدتها خمسين فرسخاً.

ثم بدأ في إلقاء الأساس داخل هذه الحفر، فألقى صخوراً، ورمالاً، وماءً لتماسك الرمال والصخور.

ثم أودن ناراً عظيمة بمساعدة هؤلاء الناس، وبعد أن حَمِيت النار وضع عليها النحاس، فذاب النحاس في النار، فصببه على

(١) الفرسخ = ثلاثة أميال.

الصخور في هذه الحفرة، فصار النحاس المُذاب كأنه عرق من الأرض.

فلما بلغ الأساس الأرض وسُدَّت الحفرة تركها حتى تماسك النحاس، فكان هذا هو الأساس القوي الذي سيبني عليه السد.

وببدأ ذو القرنين في عمل آخر في هذا السد، فقد بني السد بأعمدة من الحديد وضعها ثم أشعل ناراً أخرى، وأذاب النحاس فيها ثم وضعه فوق الحديد، فخلط بين الحديد والنحاس فصار السد قوياً متيناً بين الجبلين لا يستطيع أحد أن يهدمه حتى يأجوج ومأجوج أنفسهم.

ثم قال ذو القرنين:

هذا رحمة من ربِّي فإذا جاء وعد ربِّي جعله دكاء^(١) وكان وعد ربِّي حقاً.

وفي اليوم التالي حاول يأجوج ومأجوج أن يهدموا السَّد ليأكلوا زروع هؤلاء الناس، ويسرقوا حبوبهم إلا أنهم

(١) دكاء: متساوياً بالأرض.

لم يقدروا على ذلك، وعجزت مخالفُهُم وأنيابُهُم عن هدم هذا السد المنيع.

ولقد جعل الله لهم وقتاً يخرجون فيه إلى الأرض ويهدموه في هذا السد، فقبل يوم القيمة يجعل الله علاماتٍ له، ومن هذه العلامات خروج يأجوج ومجوچ.

فهم في كل يوم يحاولون هدم هذا السد حتى يحفروا فيه حفرة صغيرة يرَوْن منها شعاع الشمس، ثم يقول زعيمهم: ارجعوا فستحفرونـه غداً.

فيعودون إليه في اليوم التالي ليجدوا السد عاد كما كان فلا حفرة فيه، ولا شعاع شمس فيحفرونـ من جديد. ولا يزالون على هذه الحال حتى إذا جاء وعد الله قالـ زعيمهمـ.

ارجعوا فستحفرونـه غداً إن شاء اللهـ.

ثم يأتي وعد الله الذي جاء على لسانـ ذي القرنين ليصير السد دكـاءـ وكأنـ (إن شاء اللهـ) كلمةـ السـرـ، فيعودونـ إليه فيجدونـ الحفرةـ فيواصلونـ الحـفـرـ حتى يهـدمـوا بـقـيـةـ السـدـ.

ثم يبدأون في الخروج إلى أهل الأرض، وأكل الزروع،
والحبوب، والماشية، وشرب الماء حتى لا تبقى في الأرض
نقطة ماءٍ واحدة

في الوقت الذي يتجمع فيه المسلمين في مكان واحد مع
نبي الله عيسى ابن مرريم عليه السلام^(١) الذي ينزل في آخر الزمان،
ومع المسلمين بعض الطعام، وكثير من المشية والأغنام.

أما ياجوج ومأجوج فإنهم بعد أكل ثمار الأرض وشرب
ماءها، يرثون بسهامهم إلى السماء فتعود وفيها دماءٌ فيناً دِي
أحدُهُمْ قائلاً:

﴿ هَزَّمَا أَهْلَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ . ﴾

فبعث الله عليهم حشراتٍ صغيرةً اسمُها النُّغْفُ فتقتلهم
جميعاً يهلكون.

فإذا ماتوا خرج المسلمون من مكانهم، ثم تأتي طيرٌ من
السماء تأكل جثث ياجوج ومأجوج، وينزل مطر من السماء
يبعدُها عن الأرض.

(١) انظر قصة عيسى عليه السلام في «قصص الأنبياء للأطفال»، ط: دار الكنوز.

فإذا كان يوم القيمة دخل يأجوج ومجوج إلى النار جزاءً
لهم على أعمالهم السيئة، وكفرهم بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وعاد ذو القرنين إلى بلاده بعد نجاح رحلته الإيمانية وسفره
ال دائم إلى بلاد العالم ليدعوا الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك
له، وجاءه مَلَكُ الموت ليقبض رُوحه الطاهرة.



طالوت وجالوت مع نبي الله داود

مررت الأيام على بني إسرائيل وكان الله يبعث فيهم الأنبياء، النبي بعد النبي ليرشدهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وترك عبادة الأصنام، ولكنهم عصوا الله وعبدوا معه غيره، فعاقبهم سلط عليهم أعداءهم من العمالقة، فاستولوا على التابوت الذي كان معهم، وكان فيه عصا موسى عليه السلام وبعض ما تبقى من نبي الله هارون.

وفي هذا الزمان لم يكن في بني إسرائيل إلا مؤمن واحد وهو (شمويل) ذلك الفتى الذي ينتهي نسبه إلى الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام -، وذات ليلة كان شمويل نائماً فسمع صوتاً يناديه مرة بعد مرة، وفي المرة الأخيرة نظر شمويل فإذا به يرى جبريل عليه السلام، فأوحى إليه أنه قد أصبحنبياً في بني إسرائيل، وعليه الآن أن يبلغهم كلام الله ويدعوهم إلى عبادته وترك عبادة الأصنام، ويدعوهم إلى ترك الذنوب والمعاصي.

لـكـنـهـمـ ظـلـوـاـ عـلـىـ مـعـصـيـتـهـمـ وـلـمـ يـتـبـ مـنـهـمـ أـحـدـ إـلـاـ قـلـيلـاـ
وـظـلـ شـمـوـيلـ فـيـهـمـ يـدـعـوـهـمـ وـيـقـرـأـ عـلـيـهـمـ التـوـرـةـ.
وـيـبـلـغـهـمـ مـاـ أـنـزـلـ اللـهـ إـلـيـهـ،ـ وـلـكـنـ الـيـهـودـ أـحـبـواـ الدـنـيـاـ،ـ وـنسـوـاـ
الـآـخـرـةـ وـمـاـ آـمـنـ مـعـهـ إـلـاـ قـلـيلـ.

وـلـاـ زـالـتـ الـحـرـوبـ بـيـنـ الـيـهـودـ وـبـيـنـ الـعـمـالـيقـ مـسـتـمـرـةـ،ـ وـكـانـ
الـاـنـتـصـارـ دـائـيـاـ لـلـيـهـودـ،ـ حـتـىـ كـانـتـ مـعـرـكـةـ كـبـرـىـ اـسـتـعـدـ لـهـ الـيـهـودـ
جـيـداـ،ـ وـكـذـلـكـ اـسـتـعـدـ (ـالـعـمـالـيقـ)ـ حـتـىـ نـشـبـتـ⁽¹⁾ـ الـحـرـبـ.

وـدارـتـ الـمـعـرـكـةـ بـيـنـ الـفـرـيقـيـنـ،ـ وـلـمـ اـنـتـهـتـ الـمـعـرـكـةـ كـانـ
الـاـنـتـصـارـ لـلـعـمـالـيقـ عـلـىـ بـنـيـ إـسـرـائـيـلـ،ـ فـحـزـنـ نـبـيـ اللـهـ شـمـوـيلـ
لـذـلـكـ حـزـنـاـ كـبـيرـاـ،ـ وـزـادـتـ أـحـزـانـ الـيـهـودـ.

وـبـعـدـ هـذـهـ الـمـعـرـكـةـ جـلـسـ رـؤـسـاءـ الـيـهـودـ يـتـشـاـورـونـ فيـ أـمـرـ
هـذـهـ الـهـزـيمـةـ وـتـوـصـلـوـاـ فيـ نـهـاـيـةـ الـأـمـرـ أـنـ السـبـبـ فيـ ذـلـكـ أـنـهـمـ
تـرـكـوـاـ (ـالـتـابـوـتـ الـمـبـارـكـ)ـ وـلـمـ يـأـخـذـوـهـ مـعـهـمـ،ـ فـقـدـ كـانـوـاـ يـضـعـونـ
الـتـابـوـنـ أـمـاـمـهـمـ،ـ فـيـؤـيـدـهـمـ⁽²⁾ـ اللـهـ بـنـصـرـهـ.

(1) نـشـبـتـ:ـ دـارـتـ.

(2) يـؤـيـدـ:ـ يـنـصـرـ وـيـسـانـدـ.

فقرروا أن يأخذوا التابوت معهم في المعركة القادمة حتى يتquam الجنود فيدخلوا إلى المعركة ويقاتلو الأعداء قتالاً شديداً فينتصرو على أعدائهم.

وجاء اليهود بالتابوت من المعبد، فزاد حماس الجنود. حتى خرج شبابُبني إسرائيل جميعاً لحرب العمالق مرة أخرى، فالنصر سيكون حليفهم لأن التابوت معهم.

ودارت معركةٌ أخرى بين اليهود وبين العمالق، وحيث دارت معركة، وزاد حماس اليهود حتى اقتربوا من تحقيق النصر، وتراجعت جيوش العمالق، وظن اليهود أنهم قد انتصروا.

ولكن قام قائد العمالق وهو يرى جيشه سيهزم فنادى في جنوده قائلاً:

أيها الرجال، لقد جاء اليهود بإلههم لكي يقاتلوكم، فإذا هزموكم فإنكم ستصبحون عبيداً لهم، وسيدخلون بلادكم، فهُبُوا للقتال وحاربوا أعداءكم.

وأشعلت هذه الكلمات نار الحماسة في نفوس العمالق، فعاد جنودهم يقاتلون كالأسود ورأى شبابُ اليهود أعداءهم

قد هجموا عليهم، فتراجعوا، وزاد العمالقُ من هجومهم حتى
استطاعوا تفريقَ جيش اليهود، فانقلبَت الهزيمةُ نصراً.

وراح العمالقُ يقتلون في اليهود حتى قتلوا عدداً كبيراً منهم،
وأسرّوا عدداً أكبر، وبقي عدد من جنود اليهود لم يقتل.

ولم يستطعوا القتال، ففرُّوا من المعركة فرارَ الفئران، وتركوا
التابوت المبارك فأخذوه العمالق غنيمةً من أعدائهم.

وعاد أحدُ الهاربين من المعركة إلىبني إسرائيل في مدينتهم،
فرآه الناس أنه قد تمزقتْ ثيابُه، واسود^(١) وجهُه، فقالوا له: ماذا
حدث؟ فصرخ: إنها الهزيمة.

وانهزم اليهود أمام العمالقة هزيمةً عظيمةً وتكبّدوا خسائر
كبيرة جداً.

سنواتٌ طويلة مرّت بعد هزيمةبني إسرائيل وضياع التابوت
من بين أيديهم، ولم يكف شمويل عن دعوةبني إسرائيل إلى
عبادة الله وترك الذنوب والمعاصي، والتوبة إلى الله عَزَّوجَلَّ، ثم

(١) اسود: صار أسود.

جَمِيعَهُمْ فِي الْمَعْبُدِ ذَاتَ مَرَةَ، وَقَالَ لَهُمْ يَا قَوْمًا، تُوبُوا إِلَى اللَّهِ وَاتُّرْكُوا عِبَادَةَ (الْأَصْنَامِ) إِنَّهَا حِجَارَةٌ لَا تَنْفَعُ وَلَا تَضُرُّ، اعْبُدُوا اللَّهَ فَهُوَ وَاحِدٌ فِي الْأَرْضِ، وَاحِدٌ فِي السَّمَاوَاتِ يُنْصَرِّكُمْ عَلَى أَعْدَائِكُمْ، وَيُعِيدُ لَكُمُ التَّابُوتَ.

فَقَالُوا: إِذْنُنَا تُوبَ إِلَى اللَّهِ، وَنَتَرْكُ الْأَصْنَامِ، فَمَاذَا نَفْعَلُ أَيْضًا؟

فَأَمْرَهُمْ بِالصَّلَاةِ، وَالصِّيَامِ حَتَّى يَرْضَى عَنْهُمُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَتَتَطَهَّرَ نُفُوسُهُمْ مِنَ الْمُعَاصِي وَالسَّيِّئَاتِ وَتَابَ الْيَهُودُ عَنْ ذَنْبِهِمْ، وَعَبَدُوا اللَّهَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

وَبَدَأَتِ الْمَعَارِكُ مَرَةً أُخْرَى بَيْنَ الْيَهُودِ وَالْعَمَالِيقِ فَكَانَتِ الْحَرْبُ سِجَالًا بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ، أَيِّ يَتَصَرُّ فَرِيقٌ عَلَى الْآخَرِ مَرَةً وَيَتَصَرُّ فَرِيقٌ الْآخَرُ مَرَةً أُخْرَى. فَلَمَّا أَخْلَصَ الْيَهُودُ وَتَابُوا نَصَرُهُمُ اللَّهُ عَلَى أَعْدَائِهِمْ.

لَكِنْ لَا زَالَ التَّابُوتُ هُنَاكَ عِنْدَ (الْعَمَالِيقِ)، كَانَ الْعَمَالِيقُ قَدْ وَضَعُوهُ تَحْتَ صَنْمٍ لَهُمْ، فَلَمَّا اسْتِيقَظُوا فِي الصَّبَاحِ وَجَدُوا التَّابُوتَ فَوْقَ الصَّنْمِ، فَأَعْادُوهُ مَرَةً أُخْرَى.

وفي اليوم التالي تكرر المشهد مرة أخرى، فقد وجدوا التابوت فوق الصنم.

وهكذا تكررت هذه الحادثة فعلموا أن هذا من أمر الله، فأخذوا التابوت بعيداً عن الصنم ووضعوه في قرية أخرى، فانتشر فيهم مرض لعين، فأخذوا التابوت بعيداً عن بلادهم.

أما اليهود: فإنهم ظلوا على عبادتهم لله، ومرت أيام، وشهور، وسنوات حتى كبر (شمويل) وصار شيخاً كبيراً، فاجتمع شيوخهم ورؤساؤهم ثم ذهبوا إلى شمويل فقالوا له:
﴿لقد أصبحت شيخاً كبيراً يا نبي الله، فقد جئناك لتدعو الله لنا حتى يجعل علينا ملكاً يكون حاكماً علينا، وقائداً لنا في حربنا﴾.

فقال شمويل: ملك !! إن الله تعالى سيحفظكم بعد موتي، ويبعث فيكم الأنبياء، والله خير الحافظين.

فقالوا: إننا نعلم أن الله لن يُضيّعنا، ولكننا نريد ملكاً يقودنا، ونلتقط حوله.

فردٌ عليهم شمويل فقال: إن الملك سيجعلكم عبيداً له،
سيكونُ أولادُكم خدماً في قصره، وسيظلمُكم حتى تدعوا الله
ليخلصكم منه، ولن يستجيبَ الله لكم.
فقالوا: إننا نقبلُ هذا كله.

لقد كانوا دائِماً يختارون أصعبَ الأمور ويسيرون عليها رغم
أن الله تعالى قد يسّر عليهم ولكنهم قومٌ عنادٍ وسوءٍ.

فقالوا: إننا نريد ملكاً يجمعُ كلمتنا، ويقودُنا للقتال حتى لو
أذلّنا وجعلنا عبيداً له.

فقال شمويل: ولكن هل لو كتب الله تعالى عليكم القتال
وجعله أمراً هل ستقاتلون؟

قالوا: نعم سنقاتل، ولماذا لا نقاتل في سبيل الله. وقد أخر جنا
من ديارنا، وأبنائنا عبيداً للعاليق؟

فلما رأى شمويل أنهم قد صمموا على هذا جلس يدعوه الله
في ضراعة، فأوحى الله تعالى إليه أنه قد استجاب له ولقومه،
وأمره أن يبلغَهم ما أوحى به إليهم.

فخرج (شمويل) إلى بني إسرائيل وهم في انتظاره ليعلموا
اسم الملك الذي اختاره الله.

فقال شمويل: إن الله قد استجاب لدعائنا وبعث عليكم
ملكاً.

قالوا: من هو يا شمويل؟ **فقال:** إنه (طالوت) طالوتُ
ملك على بني إسرائيل.

خرجت الأصواتُ من بني إسرائيل يرفضون أمر الله تعالى،
ويعرضون على (طالوت) لأن (طالوت) كان يعمل (سقاءً)^(١)
وكان فقيراً وليس عنده مال كثير.

قالوا: كيف يكون الملك له علينا، ونحن أحق بالملك
منه.

فقال شمويل: إن الله قد اختاره عليكم، وزاده بساطة^(٢) في
العلم والجسم والله يعطي ملكه من يشاء، والله واسع عليم.

(١) السقاء: الذي يسقي الناس.

(٢) البساطة: السعة.

فقال قائل منهم: ولكن ما الذي يجعلنا نصدقك أن طالوت قد اختاره الله، ولم تختره أنت.

فقال: إن علامة اختيار الله له أن يعود التابوت فيه سكينة وطمأنينة لقلوبكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون، تحمله الملائكة، إن في ذلك لآية^(١) لكم إن كنتم مؤمنين.

وانظر بنو إسرائيل، فإذا بالتابوت قد جاءت به الملائكة تحمله.

فرأى بنو إسرائيل التابوت، فاطمأنوا قلوبهم، وعرفوا أن طالوت هو ملكُهم الجديدُ، فهتفوا:

عاش الملك طالوت، عاش الملك طالوت.

عاد التابوت إلى بنى إسرائيل، فجعلوه أمامهم في كل معاركهم ضد (العماليق) فانتصروا وقادهم (طالوت) من نصر إلى نصر.

وكان شمويل يبلغُ أمرَ الله إلى طالوت بالحرب، أو بالعدل بين الناس، وظل طالوت مطيناً لأمر شمويل نبي الله.

(١) آية: علامه ودليل.

وكانت شريعة الله إلىبني إسرائيل أنهم إذا انتصروا وضعوا الغنائم^(١) حتى تنزل نار بيضاء من السماء تأكل هذه الغنائم، فإذا غضب الله ظلت الغنائم كما هي.

وأمر الله شمويل أن يذهب إلى طالوت، فذهب إليه وقال له: إن الله يأمرك أن تذهب إلى العماليق وتحاربهم، وإنك ستتضر عليهم، فإذا انتصرت فأحرق ديارهم، واذبح كل الرجال ولا تدع بقرةً ولا جملًا إلا ذبحته.

وكان (طالوت) يعلم أنه صار ملكًا بأمر الله فلا بد من طاعته.

وخرج جيشبني إسرائيل حتى وصل إلى مدينة العماليق. ودارت الحرب، فانتصر اليهودُ هذه المرة على العماليق حتى أسرُوا ملِكَهم (أجاج)، وكانت الأبقار، والجمال، والخراف تملأ مدن العماليق فاختار جيشُبني إسرائيل الحيواناتِ الضعيفة فقتلوها.

أما الحيواناتُ السمينةُ فلم يذبحوها، وأخذوها إلى ديارهم، وأسروا الملك (أجاج) فلم يقتلوه.

(١) الغنائم: مكاسب الحرب من الأسلحة والخيول.

وَعَادْ جَيْشُ بْنِ إِسْرَائِيلَ وَمَعَهُ الْمَلَكُ (طَالُوتُ) فَدَخَلَ عَلَى شَمْوِيلَ، فَقَامَ شَمْوِيلُ غَاضِبًا وَقَالَ: لَمَّا ذَلِكَ تَنفَذَ أَمْرُ اللَّهِ، إِنِّي أَرَى إِبْلًا، وَخِيَالًا، وَخِرَافًا؟

فَقَالَ طَالُوتُ: إِنَّا سَوْفَ نَذْبُحُهَا فِي الْمَعْدِلِ.

فَقَالَ شَمْوِيلُ: لَكُنْ طَاعَةً أَمْرَ اللَّهِ أَفْضَلُ مِنْ أَنْ تُذْبِحَ الْحَيَوانَاتِ فِي الْمَعْدِلِ.

فَقَالَ طَالُوتُ: إِنِّي أَتُوبُ إِلَى اللَّهِ.

فَقَالَ شَمْوِيلُ: وَاقْتُلْ أَجَاجَ مَلَكَهُمْ يَا طَالُوتَ ثُمَّ اعْتَدْ شَمْوِيلَ فَقَالَ لِطَالُوتَ: إِنَّكَ صَرَتَ عَاصِيًّا لِلَّهِ، لَقَدْ كُنْتَ سَقَاءً مَتَوَاضِعًا حَتَّى اخْتَارَكَ اللَّهُ مَلِكًا فَأَصْبَحْتَ مَغْرُورًا وَعَصِيَّتَ أَمْرَ اللَّهِ، ثُمَّ أَرَادَ الْانْصَارَافَ، فَأَمْسَكَ طَالُوتَ بِثُوبِهِ فَتَمَزَّقَ.

فَقَالَ شَمْوِيلُ: مَرْزُقٌ اللَّهُ مَلِكُكَ كَمَا مَرْزُقْتَ ثِيَابِي.

فَقَالَ طَالُوتُ وَهُوَ يَتَوَسَّلُ إِلَى شَمْوِيلَ: بِاللَّهِ عَلَيْكَ سَاعَدْنِي عَلَى التَّوْبَةِ لِيغْفِرَ اللَّهُ لِي، وَادْعُهُ أَنْ يَقْبَلَ تَوْبَتِي وَنَدْمِي عَلَى مَا فَعَلْتُ، ثُمَّ بَكَى طَالُوتُ.

فعاد شمويل فسجد لله مع طالوت، ودعا الله له ليغفر
طالوت ذنبه.

ولكن ما زال طالوت حزينًا من ذلك الدعاء الذي دعا به
شمويل حين قال: (مَرْزُقَ اللَّهُ مُلْكُك) إنه الآن يفكُر في أمره فلو
تمرق ملوكه فسوف يعود فقيرًا مرةً أخرى وبعد المعيشة في القصر،
وخدمَة الناس له، سيعود ليحمل قربة الماء ليعمل سقاءً مرةً
أخرى، وظل وجهه حزينًا باكيًا حتى دخل عليه أحدُ وزرائه،
فقال:

يا مولاي، لا تحزن، فإن نبي الله قد دعا لك بالغفرة.

فقال طالوت: إنني حزين وخائف، وأشعرُ أن ملكي
سيتمزق، وسأعود فقيرًا، ساعدوني على أن أفكر في أمر آخر،
هيا افعلوا شيئاً مليككم وأسعدوه.

فقال أحد الوزراء: إنني أعرف غلامًا حسنَ الصوت، إنه
راعي غنم ولكنه إذا قرأ التوراة سكت كل شيء حوله حتى الطير
تستمع إلى صوته، وتکاد الجبال تسبح معه إذا سبح الله، وتخشع
القلوب، إن صوته عذب يا مولاي.

فقال طالوت: أحضروا هذا الغلام وانطلق الحرس، والخدم يبحثون عن (داود) ذلك الراعي ذي الصوت العذب الرقيق.

فلما وجدوه، جاءوا به إلى مقر طالوت فدخل عليه، فلما رأه طالوت انسرح صدرُه وسكنَتْ أحزانُه، فإنه يرى فتىً أشقرَ، أبيضَ الوجه، أزرقَ العينين.

فقال طالوت: أسمِعْنا تسبِيحَكَ لله وقراءَتَكَ للتوراة.
وببدأ داودُ في تلاوةِ التوراة، فأحسَّ طالوتُ أن المدوءَ يعمُّ المكان، فقد سكتَ كل شيءٍ حوله، وشعر بالأمن في قلبه، وخرج صوتُ داودَ ينادي:

سبحان الملك الأعظم...سبحان خالق النور.
يا رب...ما أعظمَ اسمَكَ في الأرض !!.
يا رب ما أعظمَ اسمَكَ في السماء !!.

واطمأنَ قلبُ طالوتَ، وذرَفَ الدموعَ⁽¹⁾ باكيًا، وذهب الحزنُ عن قلبه، ثم انصرف داودُ.

(1) ذرف الدموع: أي بكى ونزلت دموعه.

جَمَّعُ (الْعَمَالِيقَ) جَيْشَهُمْ، وَالْتَّفَوْا حَوْلَ قَائِدِهِمُ الْجَدِيدِ
(جَالُوتَ) الَّذِي كَانَ عَظِيمَ الْجَسْدِ قَوِيًّا الْبَنْيَانَ لَا يُشَقُّ لَهُ غُبَارٌ
فِي مَعرَكَةٍ، وَتَجَهَّزُوا لِلزَّحْفِ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ.

وَعْلَمَ طَالُوتُ بِهَذِهِ الْأَخْبَارِ، فَبَعَثَ عَيْوَنَةَ^(١) يُسْتَطِلُّونَ
الْأَمْرَ، فَتَأَكَّدَ مِنْ هَذِهِ الْأَنْبَاءِ، وَاسْتَأْذَنَ نَبِيَّ اللَّهِ شَمْوِيلَ فِي الْخُرُوجِ
لِمَلَاقِّيَةِ الْأَعْدَاءِ فَأَذِنَ لَهُ فِي الْخُرُوجِ.

وَنَادَى الْمَنَادِيُّ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ: اسْتَعِدُوا لِلقتالِ.
فَتَجَهَّزَ الْجَيْشُ، وَجَاءَ الْمَطْوَعُونُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ لِلْجَهَادِ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ ضِدَ الْعَمَالِيقَ الْكُفَّرَةِ وَبِلْغَ عَدْدِ جَيْشِ بَنِي إِسْرَائِيلَ
ثَمَانِينَ أَلْفًا مِنَ الْجُنُودِ الْأَقْوَيَاءِ لِأَنَّ الْمَعرَكَةَ كَانَتْ حَاسِمَةً وَكَانَ
الْعَمَالِيقُ قَدْ جَمَعُوا جَيْشًا جَرَارًا لِلْغَزوِ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

وَخَرَجَ طَالُوتُ بِهَذَا الْجَيْشِ الْعَرَمَمَ^(٢) لِيُقَاتِلَ أَعْدَاءَ اللَّهِ مِنَ
الْعَمَالِيقَ وَأَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يَخْتَبِرَ إِيمَانَ جُنُودِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَقَدْ
كَانَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ شُجَاعٌ وَلَكِنَّ حَقِيقَةَ الْأَمْرِ كَانَتْ
غَيْرَ ذَلِكَ.

—*(٢) عَرَمَمٌ: أي: كثير.

(١) عَيْوَنَةُ: جَوَاسِيَّسَهُ.

فقد كان الرعبُ يتملّكُهُمْ من الملك (جالوت) قائدِ العمالق.

وأوصي شمويل طالوت قبل أن يخرج بآلا يشربوا من نهر الأردنِ والذي سيمرون عليه في الطريق، فنادى طالوتُ في جيشه قائلاً: إن الله مُبتليكم^(١) بنهر فمن شرب منه فسوف يعود ولن يحارب أما من شرب شربةً واحدةً فقط بيده فسوف يُكمل المسير معنا لحرب الأعداء.

وسار جيشبني إسرائيل حتى أصابهم العطش الشديد، فإن الشمس شديدة الحرارة، فعطشوا عطشاً شديداً.

ووصل الجيش إلى النهر، فلما رأاه الجنود ذهبوا إليه فشربوا منه إلا قليلاً منهم، فلم يبقَ من الجيش إلا ثلثائةٍ وأربعة عشرَ رجلاً هم الذين لم يشربوا من النهر وأطاعوا أمراً نبي الله، وأمرَ ملِكِهم طالوتَ وعاد الباقون إلى بيت المقدس فإن طالوتَ يخشى من عصيان أمرِ الله حتى لا يُمزَقَ ملكه.

(١) مُبتليكم: أي: مختبركم.

و عبر الباقيون من الجيش مع طالوت نهر الأردن، حتى
وصلوا إلى مكان جيش العمالق.

وهناك رأوا جيش العمالق الجرار، فصاح رجل منبني إسرائيل: لا طاقة^(١) لنا اليوم بجالوت وجنوبيه، سوف يهزمنا جيشُ جالوت الجرار.

ولكن المؤمنين في هذا الجيش الذين عقدوا العزم على الشهادة قالوا: كم من فئة^(٢) قليلة غلت فئةً كثيرةً بإذن الله، والله مع الصابرين.

ثم توجّهوا إلى الله تعالى فدعوه قائلين: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ^(٣)
عَلَيْنَا صَبَرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.
و كانت المعارك قدّيماً لا تبدأ إلا بعد مبارزة بين رجلين بالسيف، فبدأت المناوشاتُ بين جيش طالوت، و جيش جالوت، فييارز الرجال الرجال.

(١) لا طاقة: أي: لا قوة ولا قدرة.

(٢) فئة: أي: جماعة من الناس.

(٣) أفرغ: أي: صبّ علينا.

حتى خرج الملك (جالوت) ملك العمالق وكان قويًا، بطلاً يبعثُ منظرهُ على الرعب، فخاف جنود اليهود منه لقد وقف (جالوت) وسط ميدان المعركة.

وكان يلبس خوذة^(١) من نحاس، وانعكس ضوء الشمس على هذه الخوذة فكانت تباعًا يراها اليهود فيزداد خوفهم ورعبهم منه، فتخيل اليهود أن (جالوت) يستطيع هزيمتهم وحده دون معاونة أحد.

وصرخ جالوت في صوت شديد: يا طالوت اخرج لمبارزتي، أو ابعث لي رجلاً يبارزني، فإن قتلتكم كان الملك لي وإن قتلتني كان الملك لك.

ماذا يفعل طالوت؟ إن جنوده الآن في رعب شديد، وقد تراجعوا جميعاً، ولم يخرج منهم أحد للقاء (جالوت) فصرخ طالوت في جنوده يحمسُهم: من يخرج لقتال جالوت؟ ولم يجب أحد، فضحك جالوت؟ وجرى بفرسه ناحية جيش اليهود فتراجعوا إلى الخلف فضحك جالوت وجيشه، وسخروا من جبن اليهود وخوفهم.

(١) خوذة: أي غطاء للرأس من نحاس.

وتكرر المشهد في اليوم التالي، والجميع يتراجع أمام (جالوت)
وكيف يقاتل رجل ضعيف منهم هذا الجبل جالوت؟ فأراد
طالوت أن يشجع الرجال على قتال (جالوت) فقال لجنوده:
من منكم يخرج لقتاله، وأزوّجه ابنتي، وأكرّمه فيبني
إسرائيل هو وأهل بيته؟

إن هذا الوعد بلا شك جائزة عظيمة يطمناها أي شخص في
ديار بني إسرائيل جميعاً، فسوف يكون شهرًا للملك، وواحدًا
من يعيشون في القصر، وسيكون شريكاً للملك وشريفاً في قومه
جميعاً.

لكن كل رجل في الجيش يعرف قوة (جالوت)، ويعلم
جيداً أنه سيُقتل بالسيف ليموت قبل أن يتزوج بنت طالوت،
فلم يخرج أحد لقتال جالوت، فسخر منهم ومن خوفهم.
وظل جالوت يخرج كل يوم يدعُ اليهود للمبارزة فلا يجيئه
أحد، حتى مضى أربعون يوماً ولا زالت القلوب خائفةً من قوته
وبطشه، وما زالت سخريته من جنود اليهود وخوفهم يعلو
صوتها كل يوم.

وفي بيت المقدس كان الغلامُ (داودُ) ذلك الراعي ذو الصوت الحَسَن ينتظِر قدوم إخوته من المعركة.

وكانوا قد خرجوا مع (طالوت) لحرب العمالق، وطال انتظاره لهم فقرر أن يأخذ بعض الطعام لإخوته في ميدان المعركة، ويزورهم مطمئناً عليهم، ثم تحرك إليهم وعبر نهر الأردن، لتحدث المفاجأة.

ترك داود غنمه، وذهب إلى إخوته بعد عبور نهر الأردن، ووصل إلى ساحة القتال فوجد الجيشين قد استعدوا للقتال، وبرز جالوتُ من بين الصفوف مرة أخرى، وكانت هذه هي المرة الأولى التي يراها داود، ونادى جالوتُ: أَمَا من مقاتل... أَمَا من مبارز، هيا أيها الجناء.

وعاد اليهودُ للخلف وانكمشوا ولم يتقدم منهم أحد. فأحسَّ داود بالغيط الشديد وغلَّتْ دماؤه في عروقه، وغضبَ من قومِه الجناء، فخرج من بين الصفوف كأنه العاصفة^(١).

(١) العاصفة: أي: الهواء الشديد.

ثم صاح: أنا أقاتلُك أيها المغوروُر. فخرج إخوهُ داود فقالوا له: ألمجنون أنت؟ إنه جالوت. إنه أقوى منك.

فقال داود: إن معِيَ مَنْ هو أقوى مِنْ جالوت، إن معِيَ الله عَزَّوجَلَّ، أنا مؤمن وهو كافر.

فقال إخوهُ: يا داودْ عُدْ إلى غَنِيمَكَ، سوف يقتلك ثم تقدم طالوت إليه فقال: يا صغيري عُدْ إلى (بيت المقدس) إنه قوي، ويعرفُ فنونَ الحرب، وأنت صغير لا تستطيع مبارَزَته.

فقال داود في ثبات: إن معِيَ الله تعالى.

ورأى طالوت داود مُصممًا على القتال، فقال له: الله معك يا ولدي، اذهب فقاتِله وألبس طالوت ثيابه لداود، وجعل على رأسه خوذةً، وألبسه دِرْعًا^(١) ليحميه من طعناتِ الرماح، وضرباتِ السيوف وأراد داود الخروج ولكن وجد نفسه ثقيلاً فخلع داود عن نفسه هذه الخوذة، وهذا الدرع.

(١) الدرع: هو قميص من الحديد يلبسه الجندي ليمنع عنه الطعنات.

ثم قال: يا مولاي، إنني أستطيع أن أستخدم المقلع^(١)،
فلو سدّدته إلى شيء أصبتُه.

وتقديم داود إلى جالوت، فلما رأه جالوت صغيراً، قال:
ارجع فلم أتعود قتل الغلمان.

فقال داود في غضب: بل أنا أقتلك أيها الكافر المغرور.

ولفتَ الهدوء والسكون ميدانَ المعركة، ونظر إخوة داود إلى
أخيهم في قلق شديد.

ونظر جنود العمالق إلى ملكِهم يُبارِزُ غلاماً، فأخرج داود
من جيشه حجراً ووضعه في المقلع، ثم صوّبه إلى جالوت، وقدف
بالحجر فأصاب عينَ جالوت فسقط فأسرع داود إليه.

ثم قعد على صدره وقطع رأسه، فخاف العمالق، وهلَّ
اليهودُ، ثم هجموا على العمالق، ففُرُوا أمامَهم، وانتصر اليهودُ.
وهكذا قتل داود جالوت، وما هي إلا سنواتٌ حتى آتاه اللهُ
النبوة والملك فصار داود ملِكًا نبيًا حكيمًا عليه السلام.

(١) المقلع: أداة حربية قديمة توضع فيها الحجارة ثم يقذف بها.

قصة

الهدّهـ وملكتـ سـبـاـ

خرج هـدـهـ سـلـيـمـانـ عـلـيـهـ السـلـامـ في الصـبـاحـ وترـكـ عـشـهـ ليـحـثـ عن رـزـقـهـ، ثمـ طـارـ بـعـيـداـًـ عـنـ مـكـانـ عـشـهـ الـذـيـ يـسـكـنـ فـيـ بـلـادـ بـيـتـ المـقـدـسـ، وـاقـتـرـبـ مـنـ مـلـكـةـ سـبـاـًـ فـيـ بـلـادـ الـيـمـنـ، هـذـهـ المـلـكـةـ تـحـكـمـهـ اـمـرـأـةـ جـمـيـلـةـ اـسـمـهـاـ (ـبـلـقـيـسـ)ـ وـتـعـجـبـ الـهـدـهـ مـنـ هـذـهـ المـلـكـةـ وـمـنـ عـرـشـ المـلـكـةـ وـحـبـ شـعـبـهـاـ لـهـاـ.ـ لـكـنـهـ رـأـىـ أـمـرـأـ عـجـيـبـاـ جـعـلـهـ يـحـزـنـ وـيـبـكيـ، لـقـدـ رـأـىـ أـهـلـ سـبـاـًـ يـسـجـدـوـنـ لـلـشـمـسـ وـيـعـبـدـوـنـهـاـ مـنـ دـوـنـ اللهـ تـعـالـىـ، وـتـعـجـبـ الـهـدـهـ مـنـ ضـلـالـ الـبـشـرـ الـذـينـ يـتـرـكـونـ الـخـالـقـ الـمـنـعـمـ، وـيـعـبـدـوـنـ شـيـئـاـ مـنـ خـلـقـهـ.

وـقـرـرـ الـهـدـهـ أـنـ يـعـودـ مـرـةـ أـخـرـىـ إـلـىـ بـيـتـ المـقـدـسـ حـتـىـ يـخـبـرـ صـاحـبـهـ مـنـ الـبـشـرـ بـهـذـاـ الـذـيـ رـآـهـ.

وـلـمـ يـخـطـرـ بـيـالـ أـهـلـ سـبـاـ الـذـينـ عـبـدـوـاـ الـشـمـسـ مـنـ دـوـنـ اللهـ أـنـ الـقـدـرـ يـخـبـيـعـ لـهـمـ حـدـثـاـ عـظـيـمـاـ سـيـغـيـرـ حـيـاتـهـمـ تـامـاـ.

خـرـجـتـ الطـيـورـ تـحـمـلـهـ الـرـيـاحـ، وـوـقـفـتـ الـحـيـوانـاتـ صـفـوـفـاـ، وـاـنـتـظـمـ الـجـنـ فيـ صـفـوـفـ مـتـسـاوـيـةـ وـوـقـفـ قـائـدـ الـإـنـسـ يـنـظـمـ جـنـوـدـهـ فـيـ النـاـحـيـةـ الـمـخـصـصـةـ لـهـمـ.

ثم ارتقى الجميع خروج الملك النبي سليمان بن داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، وخرج سليمان فلما رأى جنوده تذكّر دعاءه لِهِ اللَّهُ تَعَالَى:

رب اغفر لي وأعطني ملگا لا ينبغي لأحد من بعدي.

فحمد الله الذي سخر له الجن والإنس والطير والوحش والرياح ليصبحوا في جيشه يغزو به في سبيل الله.

إنه يأمر الطير فتطيعه ويفهم لغتها ويحدثها، ثم يستدعي الجن، وكانوا خدمًا بين يديه فمنهم من يبني له القصور. ومنهم من يغوص إلى الأعماق ليأتي باللؤلؤ والكنوز المختبئه في أعماق البحر.

ثم يأمر سليمان الرياح أن تحمله من الشام إلى العراق فيذهب إلى هناك في الصباح، ثم يعود قبل الظهر مرة أخرى إلى (بيت المقدس) في الشام.

حقاً إنه مُلْكٌ عجيب لم يُعْطِهِ اللَّهُ لآحد من بعد سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ.

نظر سليمانٌ إلى جيشه العظيم الجرارِ الذي اجتمعَ فيه كُلُّ المخلوقات، كان صوتُ أقدام الجيش وحده مُرعباً، يهزُمُ أيَّ جيش آخر، فكيف إذا حارب هذا الجيش جيشاً آخر.

وكان سليمانٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ يسيرُ في مقدمة الجيش حوله القوادُ من كل جنس، قائدُ الإنس، وقائدُ الجن، والنسُرُ زعيم الطيور، والأسدُ ملك الوحش وبقيةُ القواد، وإذا به يستمعُ إلى صوتٍ ضعيفٍ يُنادي فيقول:

﴿يَأَيُّهَا النَّمَلُ أَدْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ لَا يَعْطِمَنَّكُمْ﴾^(١) سَلَيْمَانٌ وَجَنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرونَ ﴿[النَّمَل: ١٨]﴾.

كان الصوتُ لِنَمْلَةٍ رأت جيش سليمان وهو قادم، فنادت في أخواتِها ليدخلوا إلى الجحور حتى لا يموتَ جيشُ النمل تحت أقدام هذا الجيش الجرارِ الذي لن يراهم.

فتَبَسَّمَ نَبِيُّ اللهِ سليمانٌ ضاحكاً من قولَها، ونظر إلى السماء، شاكراً الله على هذه النعمة.

(١) أي: لا يُكسرنكم حين يذوسونكم بالأقدام.

ثم قال: ﴿رَبِّ أَوْزِعِنِي^(۱) أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ
وَعَلَىٰ وَالْدَّىٰ وَأَنْ أَعْمَلَ صَدِلِحَا تَرَضَّهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ
الصَّالِحِينَ﴾.

وانظر نبي الله سليمان جيش النمل حتى دخل إلى مساكنه، ثم بدأ الجيش مسيره، ووسط الصحراء كان الغبار يعلو من وقع الأقدام التي تدوس على رمالها، واشتد حرارة الشمس وزاد لهيبها وأبصر سليمان مكاناً فيه نبات فعلم أن الماء قريب من هذا المكان، فنادي في جيشه ليقف فتوقف الجيش، ووضعوا الرحال، والأمتعة في انتظار أوامير النبي الملك.

وتلفت نبي الله سليمان يبحث عن الهدى، فإن الهدى هو الدليل على الماء، لأن الله تعالى جعله يرى بعينه ما تحت التراب، ويضرب بمنقاره الطويل في الرمال بحثاً عن الماء، فلم يجد سليمان هذا الهدى فقال متعجباً:

﴿مَالِي لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَايِينَ؟ ثُمَّ طَلَبَ سَلِيمَانَ مِنْ قَائِدِ الطَّيْرِ وَهُوَ النَّسَرُ أَنْ يَحْضُرْ فورًا، فَحَضَرَ النَّسَرُ، فَقَالَ سَلِيمَانٌ: أَيْنَ الْهُدْهُدُ؟﴾

(۱) أوزعني: ألمني شكر نعمتك، وامعنني من كفرها.

فقال: عفوًا مولاي لا أدرى أين هو؟

فزاد غضبُ نبيِّ اللهِ سليمانَ لأنَّ الهدَهَدَ لم يستأذنْ قبل
غياً.

فقال: ﴿لَا عذَّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَا أَذْبَحَنَّهُ أَوْ
لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَنٍ﴾^{(١) مُبِينٌ}.

ثم دعا سليمانُ العَقَابَ، وهو طائر يُشبهُ النسرَ فقال: أحضر وا
الهدَهَدَ الآن.

لم تمضِ إلا دقائقٌ معدودةٌ حتى حضر (الهدَهَدُ فرآهُ العَقَابُ
والنسرُ.

فقال له: أين كنتَ؟ ويلك، إنَّ نبيَّ اللهِ سليمانَ أقسم إما أن
يقتلَكَ أو يذبحَكَ أو يعذَّبكَ.

ثم طار الهدَهَدُ مع النسر حتى وصلا إلى سليمانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فقال النسر: ها هو الهدَهَدُ يا نبيَّ اللهِ قد حضرَ.

فنظر سليمانُ إلى الهدَهَدِ غاضبًا، وجذبه من رأسِهِ ثم قال له:
أين كنتَ؟

(١) يأتيني: يجيئني، والسلطان المبين: العذر المقبول.

فقال: مهلاً يا نبيَّ الله، لقد علمتُ ما لم تعلمْ أنت.

فقال سليمان: وماذا علمتَ؟ قال: لقد جئتُك من سبِّا

بنباٰ^(١) يقين.

فقال سليمان: وما هو الخبرُ؟

قال: إني وجدتُ امرأةً قد ملكتهم، وإن لها عرشاً عظيماً تجلسُ عليه، وقد رأيتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله، فرأيتُهم كفارًا لا يعبدون الله، بل يعبدون شيئاً مما خلقه.

فتعجبَ كيف لا يسجدون الله الذي خلقهم وخلق الشمس وهو ربُّ العرش العظيم.

فتعجب سليمانُ واندهش من كلام المدهد، ثم قال له: سنتظرُ في هذا الأمر، ونرى هل من الصادقين أنت أم من الكاذبين؟ وذهب المدهد ليبحثَ عن الماءِ حتى وجده، ثم عاد إلى سليمانَ مرة أخرى، فوجده قد كتب له كتاباً^(٢)، وعلق الكتاب في مِنقارِه، وألبسه تاجاً ثم قال له: ﴿أَذْهَبْ بِكَتِبِي هَذَا فَأَلْقِهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ^(٣) عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ [النَّحْشُونُ: ٢٨]

﴿إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ^(٣) عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ [النَّحْشُونُ: ٢٨]

(٢) رسالة.

(١) خبر أكيد لا شك فيه.

(٣) تَوَلَّ: ابتعد.

وطار المهدّه حاملاً كتابَ سليمانَ نبِيَّ اللهِ إلى مملكةٍ سباً،
فلقد صار رسولاً مُوفداً من عندِ نبِيِّ اللهِ، يدعُو النَّاسَ إلى توحيدِ
اللهِ تعالى، وحَلَقَ في السَّماء بجناحِيهِ يقطعُ الطريقَ طائراً دونَ
راحَةٍ حتى وصلَ إلى سباً.

يُوم شاقٌّ من الأعمال والتحرّكات، انقضى هذا اليومُ بُطْءِ
شديدٍ، وفي نهايته أحسَّتِ الملكةُ (بلقيس) ملكةً سباً أنها تحتاجُ إلى
الراحةِ والنوم، فودَّعتْ وزرائِها، وانصرفتْ إلى حجرَتها، وقبلَ
أن تغادرَ مكانَها نظرتْ إلى عرِشِها الذي زَيَّنتهُ، ووضعتْ عليهِ
أغلى وأثمنَ أنواعِ الجواهرِ، واليواقيتِ، والذهبِ والفضةِ، ثمَّ
بدأتْ تستعدُ للنوم فألقتْ جسدها المُتَعَبَ على السرير.

فإذا بها تسمعُ صوتاً في حجرَتها، فانتبهتْ لهذا الصوتِ،
وتحولتْ ببصرِها في حجرَتها، فإذا المهدّه العجيبُ أمامَها قد
وقفَ على فتحةٍ شبّاكَ الحجرة.

فعَجِبَتْ لهذا المهدّه الذي يلبسُ تاجاً، ويُمسِكُ في مِنقارِهِ
برسالة، واقتربَ المهدّه منها ثمَ ألقى الكتابَ على سريرها وطارَ
مُسْرِغاً، فأخذَتِ الكتابَ فوجده مختوماً بختم الملوكِ، فقالت:

خطاب مختوم بخاتم الملك، يبعثه صاحبُه مع رسولٍ من الطير،
إن ملَكًا كهذا لابد أن يكون مُلْكُه كبيراً، أو هو من غير البشر.

وفتحت بلقيسُ كتابَ سليمانَ، فوجدتُه أَعْجَبَ من الهدَى،
وإِنَّا لَتَشَاهِدُ الْعَجَبَ فِي حَيَاةِنَا لِأَوَّلِ مَرَّةٍ، فَعَزَّمْتُ عَلَى جَمْعِ
وَزْرَائِهَا، وَخَواصِّهَا مِنْ أَهْلِ الرَّأْيِ وَالْمَشْورَةِ لِتَعْرَضَ عَلَيْهِمْ أَمْرَ
الكتابِ العَجَبِ.

فَلَمَّا حَضَرُوا قَالَتْ: ﴿يَأَيُّهَا الْمَلَوْاٰ﴾^(١) إِنِّي أَلِقَى إِلَيَّ كِتَابٌ
كَرِيمٌ^{٢٩} إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ^{٣٠} أَلَا
تَعْلُمُوْا عَلَيَّ وَأَتُؤْنِي مُسْلِمِيْنَ﴾ [النَّحْشُورٕ : ٢٩ - ٣١].

يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي^(٢) فِي أَمْرِي، مَا كُنْتَ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى
تَشَهُّدُنِي، وَتَشَارِكُونِي فِي الْأَمْرِ فَقَالُوا: نَحْنُ أَقْوِيَاءُ، وَلَدِينَا
الجَيْشُ الْعَظِيمُ فَلَنْ حَارِبْ سليمانَ، وَالْأَمْرُ لَكِ، فَانظُرْيِ ما ذَا
تَأْمُرِينِ، فَنَحْنُ نَسْمِعُ وَنُطِيعُ.

(١) المَلَأُ: هُمْ حاشيةُ الْمَلَكِ وَخَاصِّتَهُ.

(٢) أَفْتُونِي: أَعْطُونِي الْفَتْوَى وَالشُّورَى.

ففكرت قليلاً، والتمعت عينها، ثم أحيت رأسها، ونظرت إلى عرشها الذهبي الرائع وهي تلمسه بيدها ثم قالت: إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزّة أهلها أذلة وكذلك يفعلون.

لقد رأت أن الحرب ستأتي بالخسائر على مملكتها، وأن سليمان الذي يرسل كتاباً على جناح طائر لابد وأنه يملك جيشاً عظيماً، كما أنها امرأة لا تحب الدماء، ولا الحرب.

ثم أكملت قولها فقالت: وإنني مرسلة بهدية إلى سليمان، ومنتظرة بماذا سيرجع الرسل الذين سأبعثهم له.

ونادت وزيرها ثم قالت له: سوف أبعثك إلى سليمان بهداياً عظيمة، فيها ذهب، ومال، وعطور، وجوارٍ، وتاجٌ فيه درة من لؤلؤ، ولبنات^(١) من ذهب ومن فضة.

وسأعطيك أوقياً فيها مسك وحقة^(٢) مغلقة، ثم قالت له: قبل أن يفتح الحقة أسأله أولاً أن يخبرك بما فيها، فإذا أخبرك،

(١) لبنات: جمع لبنة، وهي الحجارة التي تستخدم في البناء.

(٢) حقة: وعاء من العاج له غطاء يوضع فيه المسك.

فاسأله أن يثقب الدرة التي في التاج ثقباً مسليماً، ويدخل خيطاً فيها، ثم انظر إليه، فإذا رأيته غاضباً عليك. فاعلم أنه ملك فلا تخف منه، وإذا رأيته يبتسم لك، فاعلم أنه نبي ولا تتكلم كثيراً معه، ولكن أجعل إجابتك على الأسئلة بسيطة.

وخرج وزير بلقيس ليحمل هداياها إلى نبي الله سليمان في موكب عظيم، وعلى بعد كان المدهد يطير بجناحيه ليخبر النبي الله سليمان بها قد رآه، ليستعد لاستقبال وفد بلقيس.

وجلس سليمان على كرسيه وبجواره وزير الصالح (آصف بن برخيا).

ثم أمر سليمان الجن أن يبنوا جداراً في الطريق الذي سيمر به وفد بلقيس.

ولكنه جدار حجارته ولبناته من ذهب ومن فضة، وترك بعض الأماكن فارغة لم يضع فيها لبنات، فكانت بعدد لبنات وفد بلقيس، ففعلوا. ثم انعقد ديوان سليمان في انتظار دخول وفد مملكة سبا عليه.

وفي الطريق نظر وزير بلقيس إلى الجدار الذي أمر سليمان
الجن ببنائه فرأه من ذهب وفضة، ورأى أن بعض الأماكن
والمواضع في الجدار ليس فيها لنبات، فأخرج ما معه من لنبات
الذهب والفضة ووضعها في هذه المواقع، حتى لا يتهمه سليمان
بسرقتها، ودخل الربع قلبه.

ودخل علىنبي الله سليمان فرأه باسماً بشوشًا، فاطمأن قليلاً
وهدأت نفسه وراح يقلب بصره في قصرنبي الله سليمان، فإذا به
قد امتلاً بالعجائب والكنوز.

لقد رأى أطباقاً من ذهب قد امتلاط مسگاً طيب الرائحة.
ثم رأى ياقوتاً أحمر في أطباق أخرى وفي هذه الأطباق وضع
قليل من ماء الورد، وجاءت طيور صغيرة ترفرف بجناحيها،
وتتمرغ في هذا المسك، ثم تنزل في ماء الورد، وتتطير في القصر
ثم تملؤه بهذه الرائحة الطيبة، وتقدم الرجل متوجباً إلى سليمان،
وسلمه كتاب بلقيس إليه، ثم جلس يتأمل في روعة قصر هذا
الملك العظيم.

وما أن انتهى سليمان من قراءة الكتاب حتى قال للوزير:

﴿أين الحقة التي بعثتها ملكتك معك؟﴾

فأخرجها من جيبه وقال: ها هي يا سيدى، ولكن هل لك أن تخبرنى بما فيها؟.

فقلبها سليمان بين يديه ثم قال: إن فيها درة ثمينة، وفيها خرزة، وفي الخرزة ثقب معوج.

فاندهش الوزير، وأوشك أن يُقتل من دهشته مما يحدث حوله، فإنه يعيش في جو خيالي الآن.

فالنبي الذي أمامه يعرف كل شيء، ويملك كل شيء، ولكن تذكر أمر الملكة بلقيس بسرعة فقال: صدقت، وتأكد رسول بلقيس وزيرها أنه أمام نبي لا أمام ملك، وأن ما يفعله إنما هي معجزات خارقة أعطاها الله تعالى له، فأسرع بتقديم بقية الهدايا لسليمان.

أما سليمان فإنه رفض الهدية، فلا يصح أن يقبل نبي هدية كافر، وأخبر الوزير بأنه لن يقبل هداياه إلا إذا تركوا عبادة الشمس وعبدوا الله وحده لا شريك له.

وقال: أتِمْدُونُنِي بِالْمَالِ؟!! فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْطَانِي خَيْرًا مَا
أَعْطَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهِدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ.

ثُمَّ حَذَرَهُ سَلِيمَانَ قَائِلًا: ارْجِعْ إِلَى مُلْكِكَ وَشَعْبِكَ،
فَلَنْأَتِينَكُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ^(۱) لَكُمْ بِهَا، وَلَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ
أَدْلَةً وَأَنْتُمْ صَاغِرُونَ^(۲).

وَعَادَ مُوكَبُ وَزِيرِ بَلْقَيْسِ إِلَى سَبَأٍ وَهُوَ لَا يُصْدِقُ مَا رَأَاهُ.
وَلَكُنْهَا حَقَائِقٌ وَلَيْسَتْ خِيَالَاتٍ وَدَخَلَ عَلَى مُلْكِتِهِ، فَحَكِيَ لَهَا
مَا رَأَاهُ مِنَ الْعَظَمَةِ، وَالرَّوْعَةِ، وَالْعَجْبِ، فَإِذَا بِهَا تَمَصَ شَفَتِيهَا
ثُمَّ تَقُولُ:

إِنَّهُ نَبِيٌّ، وَلَا قَدْرَةٌ لَنَا عَلَى حَرْبِهِ، وَسَنَذْهَبُ إِلَيْهِ
مُؤْمِنِينَ.

وَأَمْرَتْ بِإِعْدَادِ مُوكَبِ مُلْكِي سَيِّرَ حَلَّ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدَسِ
لِلْقَاءِ نَبِيِّ اللَّهِ سَلِيمَانَ.

(۱) لَا قَدْرَةٌ وَلَا طَاقَةٌ لَكُمْ عَلَيْهَا.

(۲) صَاغِرُونَ: جَمْعُ صَاغِرٍ وَهُوَ الدَّلِيلُ.

ذهب ملكتة سبا لنبي الله سليمان

استعد الموكب الملكي للخروج من سباً لملاقة الملك
النبي سليمان عليه السلام، فنظرت بلقيس إلى عرشها العظيم،
ومسته بيدها.

ثم أمرت الجنود أن يحملوه إلى مكان أمين وجاء الرجال
الأقوياء الأشداء يحملون العرش، وقلبها يخفق خوفاً من سقوطه
أو اصطدامه بعمود من أعمدة القصر.

ثم أدخلوه آمناً إلى مكان لا يعرفه إلا هم والملكة وأغلقت
الملكة الأبواب على العرش، وجعلت عليه باباً يتلوه باب تتلوه
أبواب، ولكل باب قفل لا يستطيع أحد أن يفتحه إلا هي، فقد
احتفظت بمقاتيح الأبواب معها ووكلت بالعرش حرساً شديداً،
وأوصتهم به خيراً.

وركبت الملكة فرسها، ونادى المنادي بالرحيل من سباً.
وتحرك موكب ملكي مهيب تقدمه ملكة جميلة تفك في
أمر هذا النبي، وتخيل عظمة قصره، وتتصور في نفسها ما قد
وصفه الوزير الذي أرسلته لسليمان عليه السلام.

وَقَرِيبًا مِنْ بَيْتِ الْمَقْدُسِ وَصَلَّتْ بِلْقِيسُ، وَكَانَ سَلِيمَانُ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَالِسًا عَلَى كَرْسِيهِ فِي قَصْرِهِ فَسَمِعَ صَوْتًا عَظِيمًا يَأْتِي مِنَ الْخَارِجِ، فَسَأَلَ جَنُودَهُ:

ما هذا الصوت؟

قالوا: إنه موكب الملكة بلقيس، لقد نزلت قريباً من بيت المقدس.

ففكَر سليمان في شيء يفعله لكي تتأكد بلقيس من نبوته، ومن قدرة الله تعالى، فتومن سريعاً وتذكر قول الهدى له أول مرة: «ولها عرش عظيم».

ماذا قال العفريت

فماذالوا أحضر العرش أمامه من سبأ، ستصبح هذه معجزة، ويصير دليلاً واضحاً على قدرة الله تعالى، فقال سليمان:

يا أيها الملا، أتكم يأتيوني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين؟

فقال عفريت من الجن: أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك^(١) وإنني عليه لقوى أمين.

(١) قبل أن يتنهي مجلسك.

وأوشك سليمان أن يأمر العفريت ليذهب إلى سباً ليحضر العرش

ولكن خرج صوت وزير المؤمن الذي كان يحفظ اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سُئل به أعطى، وهو الوزير (آصف بن بَرخِيَا) وكان عالماً صالحًا، فقال:

يا نبى الله، أنا آتاك به قبل أن يرتد إليك طرفك^(١)؟

فقال سليمان: أحقاً ما تقول يا آصف؟

قال: نعم يا نبى الله، انظر إلى اليمين.

فنظر سليمان إلى اليمين، ثم قال له آصف بعد لحظة واحدة: انظر يا نبى الله إلى^٢ فما أن نظر سليمان إلى اليمين ثم عاد مرة أخرى.

حتى وجد العرش أمامه، فعجب لروعته، فإنه كما وصفه الهدى عرش عظيم، رآه مزيّناً بالذهب والياقوت واللؤلؤ، والزمرد الأخضر، وووجهه من ذهب خالص.

(١) قبل أن تفتح عينيك بعد غلقها وهو دليل على السرعة.

وأحسَّ سُليمان بنعمة الله تعالى عليه، فتواضع، ونكس
رأسه يشكر الله تعالى قائلاً:

هذا من فضل ربي ليبلوني^(١) أأشكر، أم أكفر؟ ومن شكر
فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم.

وأراد سليمان اختيار ذكاء بلقيس، ليراهما هل هي بالذكاء
الذي حدثوه عنها أم لا؟ فأمر جنوده بـتغيير القليل من العرش
فقال: نَكْرُوا^(٢) لها عرشها، ننظر أتهتدى أم تكون من الذين لا
يهدون؟

فأخذ الجنود ينقصون من زينة العرش، ويزيدون فيه،
ليخفووا معالمه ومنظره، ويغيروا منه ليختبروا ذكاءها.

وتحرك سليمان بجنوده إلى مكان قريب من القصر، وأمر
الجن أن يبنوا لها صرحاً^(٣) من الزجاج، ويجعلوا الماء يجري من
تحته، وما ذلك إلا لتومن بلقيس بقدرة الله تعالى وعظمته، وانتهت
الجنود من البناء.

(٢) نَكْرُوا: غيروا الأوصاف.

(١) يبلوني: يختبرني.

(٣) الصرح: القصر العظيم.

وحضرت بلقيس، فاستقبلها نبی اللہ سلیمان مبتسمًا ضاحکًا
أما هي فلا زالت مندهشة مما حولها.
فالطرق مفروشة بالذهب والفضة، والجدران منقوشة
ومزينة بأغلى وأثمن الجواهر، والقصر من العظمة بما يجعلها
تقف ناظرة إليه لا تتحرك عينها عنه.

وسلیمان عَلَيْهِ السَّلَامُ متواضع غير مغرور بما حوله، وإنه
للعجب العجاب.

ثم اصطحبها سلیمان لتجول في قصره، فلا تملك إلا أن
تنظر فقط في روائع الجمال التي تحيط بها.
فإنه مُلْكٌ لا ينبعي إلا لنبي يستمد قوته من قوة الإله العظيم
وهو الله وحده لا شريك له.

ووصل سلیمان إلى المكان الذي وضع فيه عرشهما بعد أن غير
قليلًا منه، ففتح الباب فدخل ودخلت معه، فنظرت إلى العرش
فقال لها سلیمان:

أهكذا عرشك؟

ولكن...كيف؟ إنها تركت العرش في حراسة الرجال
الأشداء، وإن مفاتيح الحجرات معها وحدها، وإن العرش قد
تغيرت بعض أوصافه ومعالمه، فأجابت في ذكاء شديد.

﴿كَانَهُ هُوَ عَرْشٌ﴾

فقال سليمان: بل هو عرشك يا بلقيس جئنا به من قصرك
منذ وقت قصير.

فتعجبت من قدرة الله تعالى، ومن القوة التي أعطاها الله
لسليمان.

وقادها سليمان للصرح الذي بناه الجن من الزجاج
وجعلوا الماء يجري من تحته فدخلت معه، فلما رأت الماء
يجري، ظنت أن قدميها ستبتل، ولم تكن تعرف أنه من زجاج،
فقال سليمان باسمًا:

إنه صرخ ممرد^(۱) من قوارير^(۲).

ولم يعد أمام بلقيس إلا تؤمن بقدرة الله تعالى، وتترك
عبادة الشمس التي ورثتها عن أجدادها، فلئن كانت الشمس

(۲) من زجاج.

(۱) ناعم أملس.

تأتي بالحرارة والضوء، فإن الله تعالى هو الذي أعطى الشمس حرارتها، وضوئها وما الشمس والقمر إلا بعض خلق الله الذي

أعطى لسلیمان هذه النعم، فقالت مُستغفرة تائبة:

رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين.

فشكر سليمان ربه عَزَّوجَلَّ على أن هدى به الملكة وشعبها، وجلست بلقيس ترى العجب في ملك سليمان، ثم انقضت الأيام سريعاً، فعادت إلى مملكتها وهناك رفع الجميع صوته:

ربنا ظلمنا أنفسنا، وأسلمنا مع سليمان لله رب العالمين.



العايد والشيطان

أراد ثلاثة إخوة أشقاء أن يسافروا سفراً بعيداً، وكانت لهم اخت وحيدة فخافوا أن يسافروا ويتركوها وحدها، ففكروا في هذا الأمر فلم يجدوا أمامهم إلا برصيصا العايد الذي يتبعه الله في صومعته.

الصومعة: هي بيت الراهب الذي ينقطع للعبادة فيه بعيداً عن الناس فلا أحد يؤمن في هذه القرية على فتاة في سن الزواج غير برصيصا العايد.

وكان برصيصا معروفاً بالصلاح و فعل الخير، وذهب الإخوة الثلاثة إلى برصيصا في صومعته.

وعرضوا عليه الأمر، فرفض أولاً بحجة أنه رجل عايد لا يملك الوقت لرعاية اختهم، وأنها سوف تشغله عن عبادته.

والشيء الذي لم يعرفه الإخوة أن برصيصاً جُل يحب الفخر وأن إيمانه ضعيف ذلك أنه أغتر بإيمانه، ظنّ أن لا قدرة للشيطان

عليه، ونبي المغرور أن أول درجات سلم الصعود إلى النهاية هو الغرور حيث يفتح قلبه للشيطان.

وأستطيع الشيطان أن يو سوس (لبرصيضا) فقال:

﴿إِنَّهُ عَمَلٌ خَيْرٌ لِهُؤُلَاءِ الْمَسَاكِينِ، فَوَافَقَ عَلَىٰ طَلْبِهِمْ، وَانشَغَلَ بِصَلَاتِكَ وَعِبَادَتِكَ بَعِيدًاٰ عَنِ خطُواتِ الشَّيْطَانِ﴾

وافق المغورو على طلب أستاذه (إيليس) واشترط على الإخوة أن يبنوا لأختهم كُوخا قريباً من صومعته لتسكن أختهم فيه فلا يراها ولا تراه، فوافق الإخوة.

وهكذا دقّ برصيص المسمار الأول في نعشة دون أن يدرّي.

كان برصيصا يحمل الطعام إلى كوخ الفتاة كل يوم ولكن يتركه في متصف الطريق ثم يعود، وتأتي هي فتأخذ طعامها كل يوم، ولا زال هذا فعله كل يوم.

وللشيطان في حيله ومكره أسلوب لا يتغير فهو يفتح أبواب
الخير من أجل باب واحدٍ من الشر لقدر اح إلى برصيصا يقول
له وهو لا يراه:

مسكينة تلك الطفلة، تضع لها الطعام في متنصف الطريق وتعود، فلعل كلبًا أو قطًا، أو أحدًا آخر من الناس يأخذ الطعام فتبيت هي جائعة دون أن تدري.

وذكر (برصيضا) في أمر هذه الفتاة وانشغل عن صلاته وعبادته في تلك الليلة حتى قرر أن يصل إلى باب الكوخ ويضع الطعام على الباب ثم يعود حتى لا ينظر إليها وتنظر إليه.

وقام في الصباح فحمل الطعام إلى باب الكوخ ثم طرق الباب وانصرف إلى صومعته يعبد الله ولا زال شيطانه معه يوسموس له، ويدبر له أمراً آخر، فراح يصوّر هذه الفتاة في خياله، فيراها ويتخيلها جميلة صغيرة، وهو الرجل الذي انعزل عن الناس من أجل العبادة زمناً طويلاً.

وسرعان ما استغفر برصيضا ربه وعاد إلى عبادته لكن بقلب آخر غير ذلك القلب الذي كان يعرفه، فلقد شاركته الفتاة قلبه دون أن يراها أو تراه.

وقام برصيضا في يومه التالي فوضع الطعام ثم انصرف، ودخل في عبادته وصلاته، ولكن شيئاً ما قطع صلاته وعبادته:

إنه يضع الطعام أمام باب الكوخ ثم يمشي، فما أدراه
أن الفتاة تأخذ الطعام، فلعلها أن تكون يوماً من الأيام مريضة
أو متعبة تحتاج إلى طبيب أو دواء، فعقد العزم على أن يضع
الطعام ثم يراقبها من بعيد وهي تأخذه حتى يطمئن قلبه.
ولم يدُرْ بخلده ولا بعقله أن هذه هي وسوسه شيطانه الذي
تغلب عليه.

برصيضا العابد يقع في المعصية

يا لها من رائعة جميلة، أجمل بكثير مما تخيلتها!!
كانت هذه كلمات برصيضا حين رأى الفتاة لأول مرة منذ
أن سكنت الكوخ المجاور له، وها هي الآن قد تعلق بها قلبه
حتى عاد إلى صومعته لا يفكر إلا فيها، فأينما ذهب طارده
بوجهها، وكلما أراد الدخول إلى العبادة إذا بها تظهر في عقله،
فتشغله عن عبادة ربها والصلاه له، وما كان هذا إلا من فعل
شيطانه.

واستجاب برصيصاً لوسوسة شيطانه، ولو استعان
بالله عليه فقال:

﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ لَا يَعْلَمُ اللَّهُ، وَلَطَرْدُ
شَيْطَانَهُ بَعِيدًا عَنْهُ، لَكُنَّهُ اسْتَجَابَ لِكُلِّ كَلْمَةٍ رَاحَ يُوْسُوسُ لَهُ
بَهَا﴾

﴿إِنَّكَ عَابِدٌ مَنْعَتْ نَفْسَكَ عَنِ الْذَّاتِ الدُّنْيَا، فَمَا ضَرَّكَ
لَوْ ارْتَكَتْ خَطَأً ثُمَّ تُبَّتَ إِلَى اللَّهِ بَعْدَ ذَلِكَ، سَيغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا
بَرْصِيصَا﴾.

وحاول برصيصا التخلص من هذه الأفكار إلا أنه عاد
ليذكر جميلة الكوخ التي رآها ففكّر فيها حتى مضت لياليه دون
صلوة، وعزم على أن يكلّمها وتكلّمه.

وما أن جاء يومه التالي حتى طرق بابها فلما ظهرت بوجهها
احمّر وجهه، وسال لعابه، وارتباك فقال: جئت أسأل عن حالك
فلعلك بخير.

فقالت: بخير يا سيدِي، فهل تدخل قليلاً؟

وسريعاً ما خجل برصيضا من نفسه، فقال: لا إنما جئت
أسأل عن حالك، ثم انصرف وعادت أمواج الأفكار العالية
تغرق عقله وقلبه حتى صار ليس معه من يعينه على الطاعة فقد
تمكّن منه الشيطان، فالشيطان ذئب الإنسان، وهو من الواحد
أقرب إليه من الاثنين أو الثلاثة، وما أسهل مهمة الشيطان حين
يكون الإنسان وحده، وإنما فليستعد بالله من الشيطان الرجيم.

لقد صورها الشيطان في أحلامه ومنامه، وراح صوتها يرن
في أذنيه، وصورتها ووجهها لا يفارق عينيه، فقام فرعاً من نومه
يتمنى لو كلمها وكلمته مرة أخرى.

وفتح (برصيضا) قلبه وعقله لشيطانه، فدخل هذه المرة
إلى كوخ الفتاة، فكلمها بكلمته وأعجبها حتى كانت الفاحشة
وعصى برصيضا ربه في نفس المكان الذي عبد الله فيه.



برصيضا يقتل الفتاة

وَجَدَ الشَّيْطَانُ (بِرْصِيَضَا) فَرِيسَةً سَهْلَةً أَمَامَهُ، فَوَسَوسَ إِلَيْهِ مَرَةً أُخْرَى وَقَالَ لَهُ: إِذَا أَتَى إِخْرَوَةَ الْفَتَاهَ وَعَلِمُوا بِالْأَمْرِ فَسَيَقْتُلُونَكَ !!

فَفَكَرَ الْعَابِدُ الَّذِي يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى جَهْلٍ فِي أَمْرِهِ فَهَدَاهُ شَيْطَانُهُ إِلَى حِيلَةِ أُخْرَى. فَقَتَلَ الْفَتَاهَ خَوْفًا مِنْ أَنْ تَخْبِرَ أَهْلَهَا بِمَا حَدَثَ، ثُمَّ دَفَنَهَا وَعَادَ إِلَى صَوْمَعَتِهِ وَحَاوَلَ أَنْ يَتُوبَ إِلَى اللَّهِ.

وَعَادَ إِخْرَوَةَ الْفَتَاهَ مِنْ سَفَرِهِمْ وَجَاءُوا إِلَى (بِرْصِيَضَا) وَهُوَ يَدْعُى الْعِبَادَةَ فَسَأَلُوهُ عَنْ أَخْتِهِمْ فَقَالُوا:

﴿ ماتت فدفتها، ثم أراهم قبرها. ﴾

وَهَكَذَا كَذْبٌ، وَقَتْلٌ، وَارْتَكَبَ الْفَاحِشَةَ وَعَادَ الشَّيْطَانُ هَذِهِ الْمَرَةِ إِلَى إِخْرَوَةِ الْثَّلَاثَةِ، فَجَاءُهُمْ فِي نُومِهِمْ عَلَى هِيَةِ رَجُلٍ مَسَاوِرٌ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ:

﴿ إِنَّ أَخْتَكُمْ دَفَنَهَا بِرْصِيَضَا بَعْدَ أَنْ ذَبَحَهَا. ﴾

ثم دلهم على قبرها وأفاق الإخوة الثلاثة فإذا بهم قد رأوا نفس الحُلم فعزموا على الذهاب إلى قبر أختهم، ففتحوا القبر، فوجدوا أختهم مذبوحة فأخذوا برصيصاً إلى حاكم البلاد ليحكم فيه فأمر بإيداعه السجن حتى يُقتل جزاءً له على فعلته، وسُجن العابد (برصيصاً)، وفي الصباح جُهزت المشنقة، وجلس برصيصاً في انتظار قتله، فجاءه الشيطان فرحاً مسروراً يقول له:

﴿أَتَدْرِي مَنْ أَنَا؟﴾

فقال: لا.

قال: أنا شيطانك الذي أضللتك وأغويتك حتى أوقعتك في الفاحشة، وجعلتك تقتل الفتاة، وأرشدت إخواتها إلى قبرها، فأطعني حتى أنقذك من القتل.

قال: ماذا أفعل؟

قال: اسجد لي.

وبدلاً من أن يتوب (برصيضاً) الأحمق إلى ربه سجد
لشيطانه، فمات وهو يسجد له، فكان من أهل النار فصاح
الشيطان: إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين وما
خاف الشيطان من الله يوماً ولكنها يسخر من هذا الأحمق.

﴿ كَمَثِيلُ الشَّيْطَنِ إِذَا قَالَ لِلْإِنْسَنِ أَكُنْ فِي الْأَكْفَارِ
قَالَ إِنِّي أَخَافُ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾
١٦ فَكَانَ عَذَابُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَلِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَّٰرُوا
الظَّالِمِينَ ﴾ [الْحَسْنَى: ١٦-١٧].



قصة

أصحاب القرية

كان الملك «أنطخس» ظالماً كافراً بالله تعالى جعل نفسه إلهًا من دون الله وأمر شعبه أن يعبده من دون الله ففعلوا.

وكان هذا الملك ينشر رجاله بين الناس، فإذا عرفوا بوجود أحد المؤمنين جاءوا به إلى الملك فسجنه وقتلته حتى لم يبق في القرية كلها إلا ثلاثة رجال مؤمنين وعلم الملك بأمرهم، فأرسل جنوده وحرسه حتى قبضوا عليهم وأودعوه السجن يقتلهم بعد ذلك أمام أهل القرية في «أنطاكيه».

وبذلك يخشى الناس هذا الملك، لا يبقى في القرية كلها مؤمن واحد.

واحتشد الناس جميعاً لرؤيه هذا المشهد المروع.

ووقف أهل أنطاكيه أمام قصر الملك ينتظرون تنفيذ حكم الإعدام في ثلاثة رجال هم آخر المؤمنين في هذه القرية، وأمر الملك بقتل المؤمن الأول فقتله الجنود.

ثم جاءوا بالمؤمن الثاني فقتلوه، إلا أنهم حين أحضروا
الرجل الثالث إذا به ي SSTطع أن يفك قيوده ثم يجري وسط
الجムوع التي وقفت أمام القصر وهنا اختلط الناس بعضهم
بعض ليكتب الله له النجاة من الموت.

فقد استطاع الهرب بعيداً عن قصر الملك وجنوده وسط
الزحام الشديد.

هروب حبيب النجار من السجن

كان هذا المؤمن الهارب هو «حبيب النجار» ذلك الرجل
الطيب الذي عبد الله تعالى مع صاحبيه اللذين قتلهم الملك.
وكان نجاراً يعمل بالنهار، ثم يظل طيلة الليل يعبد الله
تعالى ويدركه، وعرف الناس عنه أنه كثير الصدقة، فكان يعطي
الفقراء من ماله ويبحث عن المساكين فيطعمهم، ويعطيهم من
المال الذي اكتسبه ما يعينهم على قضاء حاجاتهم.

إلا أن الملك حين علم يأيمانه سبحنه وأراد قتله، فلم يدافع
عنه أحد من هذه القرية ولكن الله لا يضيع من آمن به، لأن الله
تعالى يدافع عن الذين آمنوا.

وبعد أن استطاع «حبـب النـجـار» الـهـرب بـسـرـعـة من الـمـلـك وـحـراـسـه، وـاـنـشـغـلـ الناسـ فـي الـبـحـثـ عـنـهـ أـمـامـ القـصـرـ.

ذهب هو بـسـرـعـة إـلـى دـارـ أـخـيـهـ المـؤـمـنـ الذـيـ كـانـ يـخـفـيـ إـيمـانـهـ وـهـوـ «ـمـلـتـاسـ»ـ وـكـانـ قدـ تـغـيـبـ عنـ الـخـضـورـ إـلـى قـصـرـ السـلـطـانـ حـتـىـ لـاـ يـرـىـ أـخـاهـ وـهـوـ يـُـشـنـقـ أـمـامـهـ،ـ فـيـ حـزـنـ لـذـلـكـ حـزـنـاـ شـدـيدـاـ،ـ وـبـيـنـماـ هـوـ جـالـسـ حـزـينـ يـفـكـرـ إـذـ سـمـعـ طـرـقـاتـ الـبـابـ شـدـيدـةـ قـوـيـةـ،ـ وـصـوـتـ «ـحـبـبـ النـجـارـ»ـ يـنـادـيـ:

افتـحـ... اـفـتـحـ يـاـ مـلـتـاسـ... أـنـاـ حـبـبـ،ـ هـيـاـ قـبـلـ أـنـ يـدـرـكـونـيـ وـلـمـ يـصـدـقـ مـلـتـاسـ نـفـسـهـ فـيـ بـادـيـهـ الـأـمـرـ،ـ لـكـنـهـ فـتـحـ الـبـابـ بـسـرـعـةـ لـأـخـيـهـ،ـ حـكـىـ حـبـبـ عـمـاـ حـدـثـ مـلـتـاسـ،ـ وـطـلـبـ مـنـهـ مـالـاـ وـطـعـامـاـ.

ثـمـ رـجـاهـ أـنـ يـعـطـيـهـ حـصـانـاـ يـهـربـ بـهـ خـارـجـ الـقـرـيـةـ حـتـىـ لـاـ يـدـرـكـهـ أـعـوـانـ الـمـلـكـ «ـأـنـطـيـخـسـ»ـ وـهـمـ يـبـحـثـونـ عـنـهـ الـآنـ وـبـسـرـعـةـ جـهـزـ «ـمـلـتـاسـ»ـ حـصـانـاـ قـوـيـاـ لـ«ـحـبـبـ النـجـارـ»ـ وـأـعـطاـهـ طـعـامـاـ وـمـالـاـ ثـمـ وـدـعـهـ وـدـعـاـ اللـهـ لـهـ بـالـسـلـامـةـ وـأـنـ يـحـفـظـهـ مـنـ كـلـ

وأسرع «حبيب النجار» بفرسه الذي أخذ يسابق الريح في جريه حتى وصل إلى خارج المدينة، وجاء أعون الملك وحراسه يبحثون عن «حبيب النجار» في دار أخيه «ملتاس» وحينما فتشوا الدار لم يجدوه.

ولم يعشروا له على أي أثر، فتأكدوا أنه لم يكن موجوداً في الدار، ويسأوا من العثور عليه، فانصرفوا بعيداً عن داره، وعادوا إلى الملك.

وفي القصر كان غضب الملك شديداً، فاحمر وجهه كأنه نار مودة، وراح يصرخ فيمن حوله: كيف يهرب وهو رجل واحد؟ وكيف يهرب والحرس جمِيعاً قد وقفوا بأسلحتهم؟

قائد الحرس: مولاي... إننا جمِيعاً لا ندرى كيف وقفنا ولم نره، لقد كنا نحس أن هناك قوة أكبر منا جمِيعاً قد جعلتنا نعجز عن الإمساك به، فاستطاع أن يفلت من بين أيدينا. إنها قوة الله التي لا يعرفها هذا الظالم وأعوانه.

حبيب النجار في الكهف

كان التعب قد نال من حبيب النجار الذي هرب من المدينة، واشتد به الجوع والعطش فشرب ثم تناول الطعام، وأسلم جسده للأرض ينام عليها حتى يستريح من هذه الرحلة الصعبة، ومن تلك الأيام التي قضاها في سجن الملك، وهو لا يصدق نفسه أنه قد نجا من الموت بأعجوبة.

ومرت الأيام تتلوها الأيام، وحبّيب النجار هائم على وجهه لا يدرى إلى أين يذهب؟ وما زال الجنود يبحثون عنه في كل مكان، ونفذ الماء فازداد عطشاً، ثم نفد الطعام فجاع حتى اشتد جوعه، فرفع يده إلى الله قائلاً:

الحمد لله على ما أنعم به عليٌّ.

وما زال الجوع والعطش ينالان منه حتى أحس بتعب شديد، لكن لا حيلة له وأعوان الملك وجنوده يبحثون عنه في كل مكان، حتى خارج المدينة، ولكنه يثق في الله تعالى أنه لن يضيعه.

وعلى بعد رأى حبيب النجار كهفًا صغيرًا، فتشاقلت خطاه
يمشي إلى هذا الكهف حتى إذا وصل إليه دخله ثم استسلم لنوم
عميق.

فأفاق حبيب النجار على أصوات في هذا الكهف الذي
يجتمي فيه، إنه لا يستطيع أن يعرف هل هذه الأصوات أصوات
الجنود الذين يبحثون عنه؟ أم هي أصوات آخر؟
واختباً حبيب النجار ليتبين جيداً من هذه الأصوات؟

حبيب النجار والرسل الثلاثة

جلس ثلاثة رجال يتحدثون في الكهف، قال الأول: إن الله
تعال أوحى إلىّ أني رسول إلى هذه القرية (أنطاكية).
قال الثاني: أحقاً ما تقول يا صادق؟
قال الثالث: نعم يا سمعانُ حقاً؟ إن صادقاً رسول إلى
هذه القرية، لكن أدلك على أمر عجيب؟
قال سمعان: أمر عجيب أكثر من أن يصبح صادق
رسولاً يا صدوق؟

فقال صدوق: نعم، لقد بعثي الله رسولًا إلى هذه القرية مع أخي صادق.

سمعان: إذن أنتما يا صادق ويا صدوق الآن رسولان إلى أهل أنطاكية، ولكن إلام تدعوان الناس هناك؟

صادق: ندعوهם إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وترك عبادة الأصنام، وترك عبادة الملك الظالم أنطيخس.

صدوق: وندعوهם إلى الصلاة، وإلى الصدقة على الفقراء وإلى الأخلاق الحسنة الطيبة.

سمعان: إنها مهمة صعبة، فإن ملك أنطاكية جبار ظالم وأهلها أعمام الشيطان عن الحق وهنا خرج صوت «حبيب النجار» مختبئاً: ليسوا كلهم كفارًا يا أخي؟

صادق: من أنت؟ وما الذي أتى بك إلى هنا؟

فقال حبيب النجار: لا تغضب يا نبي الله، فأنا مؤمن من أهل أنطاكية، هربت من بطش الملك وظلمه حتى أصابني الجوع والعطش والمرض، وإننيأشهد أن لا إله إلا الله.

وكان هذا أول المؤمنين من هذه القرية، مسح النبيان على رأسه فزال كل تعب كان يلقاه، فقد أعطاهم الله تعالى معجزة^(١) شفاء المرضى بلا دواء أو علاج بإذن الله تعالى.

فعزم النبيان على دخول (أنطاكية) على أنها من الأطباء.

دخول النبيان القرية

دخل (صادق وصدق) إلى أنطاكية، فذهبا أول ما ذهبوا إلى (ملتاس) الذي أعطاهم داراً يسكنان بها، ويعالجان فيها المرضى.

وببدأ الاثنان ينشران دعوة الإسلام بين الناس عن طريق علاج كل مريض، فالمريض يأتي يائساً من الشفاء، فيدعوان الله له، ويمسحان عليه فيشفى بإذن الله، فإذا شكرهما قالا له:

﴿ اشكر الله الذي شفاك فهو ربك ورب الملك، هو الذي خلقنا جميعاً، وما هذا الملك إلا واحدٌ من خلقه إذا مرض لا يشفى نفسه إلا إذا شفاه الله. ﴾

(١) المعجزة: أمر خارق مخالف لما يراه الناس مثل عصام موسى عليه السلام، والإسراء والمعراج للنبي ﷺ، ولا يكون إلا لنبي من الأنبياء عليهما السلام.

واشتهر أمر الرسولين الطبيبين بالقرية حتى علم الملك بهما فأرسل إليهما بعد أن حكى جواسيسه وعيونه له أنهما يدعوان إلى عبادة الله الواحد الأحد.

ووقف (صادق وصدق) أمام الملك، فقال: اسجد للملك الإله.

فقالا: لا إله إلا الله.

فصاح الملك: بل لا إله غيري أيتها الطبيبان.

فقالا: إنما الله إله واحد، أحد، صمد^(١)، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد وانت بشر ضعيف.

فصاح الظالم: بل أنا الإله، وستقتلان حتى لا يعبد الناس غيري في أنطاكية.

فقال الرسولان: بل الله أحق أن يُعبد، وسيهلكك الله إن لم تؤمن.

فصرخ في الجنود: خذوهما إلى السجن، لا أريد أن أسمع لهم صوتاً حتى يُقتلوا.

(١) الصمد: هو الذي يحتاج إليه كل الخلق.

وعلم أهل القرية بخبر الرسولين إلا أنهم لم يتحركوا فقد كفروا بالله، وأحبوا الكفر وفضلوه على الإيمان، وليس بعد الكفر ذنب.

أوحى الله إلى «سمعان» فصار نبياً من الأنبياء، وأمره ربه أن يدخل إلى أنطاكية ليدعو أهلها إلى الإيمان بالله، فصاح سمعان قائلاً:

﴿أَبْشِرْ حَبِيبَ لَقْدْ بَعْثَنِيَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَى أَهْلِ أَنْطَاكِيَةَ﴾

قال: خذ حذرك يا أخي فإن أهل أنطاكية شيمتهم^(١) الغدر، والخيانة، وأنتنبي لا تحب إلا الوفاء بالعهد والأمانة. ودخل «سمعان» إلى أنطاكية على أنه أحد الأغنياء حتى تعرف على بعض وزراء الملك ثم تعرف على الملك نفسه، وصار واحداً من جلسائه، وأصفيائه دون أن يعلم الملك حقيقة أمره. وأنهنبي من عند الله، بل كان الملك لا يصبر على فراق سمعان، فجعله معه في قصره، وراح يحدثه عن أسراره وهمومه، حتى حدثه عن أمر (صادق وصدق).

(١) الشيمة: الطبيعة والصفة.

فقال سمعان: مولاي لماذا لا تحضرهما فلنسرع منها.

فأمر الملك الحرس بإحضارهما، فجاء بهما الحرس من السجن، وانتظر الملك أن يقضى ليلة مليئة بالضحك.

فلما وصل الرسولان قال سمعان:

﴿أنتما تزعمان أن الله هو الذي يشفى من الأمراض، ويحب أن نعبده ولا نعبد الملك﴾.

فقال: نعم، فالله خلقنا، ورزقنا، وهو الذي يشفينا إذا مرضنا، ويجيننا إذا متنا.

فقال سمعان: مولاي دعني أسرح منها، لنحضر مريضاً ونطلب منها شفاؤه، ولن يشفياه، فتشفيه أنت بقدرتك !!

فصاح الملك: كيف؟

لقد وقع الملك في ورطة لا يعرف كيف يخرج منها، فأرسل إلى واحد من النساء أعمى البصر وحضر الأعمى.

فوقف الملك الظالم حائراً لا يدرى ما يفعل، حتى تكلم الرسولان فقلالاً: عُذ بإذن الله بصيراً صحيحاً.

فعاد إليه بصره في الحال فنادى سمعان:

﴿ يَا مَلِكَ الْبَلَادِ أَمِنَ بِاللَّهِ وَلَا تَكْفُرْ فَإِنَّا رُسُلُ اللَّهِ إِلَيْكَ نَدْعُوكَ لِعِبَادَةِ اللَّهِ الْوَاحِدِ الْأَحَدِ .﴾

وفهم الملك ما فعل به، فأمر أن يوضع سمعان مع الرسلين في السجن ليقتلوا جميعاً أمام الشعب غداً، واستعد الجميع حين نادى المنادي:

﴿ سَيُعَذَّبُ الرُّسُلُ الْثَلَاثَةُ غَدًا أَمَامَ قَصْرِ الْمَلِكِ .﴾

قتل حبيب النجار

حشد هائل، وجموع غفيرة^(١) أمام قصر الملك «أنطيوخس» تجمعوا ليروا إعدام الرسل الثلاثة، ونادى الرسل: نحن بشر مثلكم، والله يعلم إننا إليكم لمرسلون.

فقال الكفار من أهل أنطاكية: إنا تطيرنا^(٢) بكم، وسنقتلكم، بل سنرجيكم بالحجارة حتى الموت.

(١) أي ناس كثير.

(٢) تطيرنا: تشاءمنا، والتشاؤم عكس التفاؤل.

فقال الرسل: إنكم قوم مُسْرِفون^(١) عصيتم الله ورسوله،
فآمنوا بالله بدلاً من الدخول إلى النار وهتف الشعب الكافر:
الموت للكذابين.

**ونسي هؤلاء أن منهم المريض الذي شفاء الله على يد (صادق
وصدق)^(٢) فراحوا يرمونهم بالحجارة ووسط هذا الضجيج
كان صوت آخر يشق الكون:**

**يا قوم اتبعوا المرسلين، اتبعوا الذين لا يطلبون منكم أجراً ولا
مالاً، اعبدوا الله الذي خلقكم، لقد عبدت الله وما يلي لا أعبد الله
وقد فطريني^(٣)، وقد هداني، اعبدوه تدخلوا الجنة يوم القيمة ولا
تعبدوا الأصنام من دونه فتدخلوا إلى النار ويغضب عليكم الله.**

فصاحوا: لن نعبد إلا الأصنام.

**ونادى المنادي: إنه «حبيب النجار» فتركوا الرسل، وذهبوا
إلى شالوم وتكاثروا عليه حتى قتلوه وهو ينادي: إني آمنت
بربكم فاسمعون.**

(٢) الضجيج: الصوت العالي.

(١) مسرفون: تزيدون في كفركم.

(٣) فطريني: خلقني.

واستغل الرسل الثلاثة اشغالهم بضرب حبيب النجار
فهربوا بعيداً عن القرية، واستمر الكفار في ضرب حبيب النجار
المؤمن فلما مات صعدت روحه إلى الله فقال الله تعالى له:

﴿ادخل الجنة، ثم أكرمه ربه إكراماً كبيراً﴾

فقال: ياليت قومي يعلمون بما غفر لي ربى وجعلني من
المكرمين.

ولم يكن حبيب النجار يرى جسده وهو يقطع ويضرب
بالنعال على الأرض، بل راح يدعوا القومه بالهدایة والإيمان.

ولكن علم الله أنهم لا يؤمنون، فصاحت الملائكة صيحة
عظيمة فلم يتحملها الكفار فماتوا جميعاً جزاءاً لهم على كفرهم
بآيات الله ورسله.

﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَمِدُونَ﴾ [يس: ٢٩]



أصحاب الجنة

كانت هناك حديقة جميلة قد امتلأت بالخيرات من كل أنواع الفواكه والثمار التي زينت فروع الأشجار، حتى أصبحت هذه الحديقة مثل الجنة، وكأنها جنة من جنات الله على الأرض.

وكانت هذه الحديقة في بلاد اليمن ناحية مدينة اسمها (صنعاء) وقد كان صاحبها رجلاً صالحًا اجتهد في زراعتها، وغرس أشجارها، حتى كانت تأتي بأطيب الحصاد.

ولم يكن الشيخ الصالح إلا رجلاً مؤمناً يعرف حق الله تعالى في ماله، وثماره، وزروعه، فكل وقت حصاد إذا جاء آخر ج

حق الله تعالى من الزكاة في ثمار حديقته.

فكان مباركة آتت أكلها ضعفين بإذن ربها، فأكل منها فقراء المدينة ومساكينها؛ لتصبح جنة الفقراء يمرحون فيها، ويأكلون من أطiable ثمارها.

فعاشوا سعداء في جنة الشيخ الصالح، وعاش هو راضياً بما يعطيه الله له من رزقه الطيب الواسع.

ولم يكن هناك ما يُزعج الشيخ أو يُقلقه في حياته هذه إلا
أبناءه الذين كثيراً ما عارضوه في أمر الزكاة، والتصدق على
الفقراء ولكنه كان يأمل أن يهدىهم الله تعالى.

اجتمع أبناء الشيخ الصالح الثلاثة حين كان أبوهم خارج
الدار، وقد ظهرت عليهم علامات الغضب والاستنكار لكل ما
يفعله أبوهم بعد ما أخرج زكاة الزروع، وأعطاهما للفقراء.

قال الولد الأكبر: ماذا يفعل أبونا؟ يخرج الزكاة!!

فقال الأصغر: نعم زكاة الزروع، وينسى أننا قد نصبح
أغنياء (القرية) إذا باع هذه الفاكهة التي يتصدق بها بدلاً
من أن يرميها لهؤلاء الفقراء.

الأوسط: إنه حق الله في الزروع.

الأصغر: وهل أمر الله بتضييع المال وإعطائه لكل من يدّعى
أنه فقير؟

الأكبر: أم هل أمره الله أن ينسانا من هذه الشمار؟!

الأوسط: لا، بل إن الله تعالى هو الذي أنبت هذه الزروع، فنحن لم نفعل شيئاً إلا أنا وضعنا البذور في الأرض، ثم رويناها بالماء.

أما النبات فالله تعالى هو الذي يأمره فيكبر وينبت فيصير شجرة بعد أن كان بذرة، ثم تخرج هذه الشجرة الشمار بأمر الله أيضاً.

الأصغر: ها... كلام لا ينفع ولا يضر.

إننا كل يوم نسقيها بالماء، ونحافظ عليها ونرعاها.

الأوسط: بل إن الله تعالى هو الذي حفظها من أن تنزل عليها نارٌ فتحرقها، أو مطر فيغرقها أو حتى آفة لا نراها أو لا نستطيع نحن علاجها.

وما يخرجه والدنا هو بعض حق الله، وليس كله، فلو كان الله تعالى قد أمرنا بإخراج الحق كله لما بقي لنا منها أي شيء.

الأكبر: اعترفنا بحق الله فهل أمر الله بأن يعطيه أبوانا للفقراء والمساكين؟

الأوسط: نعم، فإن الله أعطانا المال والثمار وجعلنا أمناء
عليها، وجعل بعض الناس فقراء، ليعطي الغني بعض المال
للفقير حتى يعيش، وإذا لم نُعطِ للفقير شيئاً، فمن أين سياكل
هو وأسرته.

الأكبر: فليعمل، ولি�أكل من عمله.

الأوسط: بعضهم ي العمل، ولكن الله هو الرزاق وسّع على
بعضنا، وضيق على الآخرين ليختبرنا، ويعلم من يؤدي حقه
سبحانه من لا يفعل.

الأصغر: إنك مثل والدنا، ويبدو أن المرض في عائلتنا
بالوراثة.

فقال الأوسط: الآن الزكاة مرض... لا حول ولا قوة إلا
بالله، هداكم الله يا أخوّي الكريمين.

ثم تفرق الثلاثة، فذهب ابن الأوسط حيث أبوه، وذهب
الأخوان الباقيان بعيداً عن والدهما ليقضيا ليلة أخرى من الغيظ
والحقد على أبيهما وأخيهما.

إلى حديقة الشيخ الصالح جاء فقير من الفقراء يسأله بعض
الثمار لطفله المريض الذي يبكي ولا يجد ما يأكله، فدخل الشيخ
إلى حيث الشمار وأعطى الفقير بعضها ثم تصدق عليه ببعض المال
فإذا بالفقير يعلو صوته.

﴿بارك الله لك في مالك، وجيتك، بارك الله لك أيها
الشيخ الطيب.﴾

فنظر الشيخ إلى أولاده وهو يقول:

﴿بمثل هذه الدعوات من هؤلاء يُبارك الله لنا في حديقتنا
وثرمارها يا أبنائي.﴾

إلا أن ابنه الأكبر راح يغض بعض شفتته من الغيط وهو يقول:

﴿بل بمثل هذا الفقير وأمثاله لن نجد بعد ذلك ثمرة
واحدة، أو درهماً من المال لنأكل به.﴾

فغضب الشيخ وقال:

﴿لن يُبارك الله لك ولا لإخوتك في شيء طالما أنت
على هذه الحال من السخط.﴾

وتدخل الابن الأوسط ليهدي من أبيه فقال:

﴿ يا أبي إن أخي لا يقصد شيئاً، وإنما يقصد أنك أخرجت زكاة المال والثمار، فلا حاجة لنا أن نخرج ثماراً جديدة، وما لا جديداً للزكاة. ﴾

فقال الشيخ:

يا بُني إن الصدقة تُطفئ غضب الله تعالى، وترفع من درجة المؤمنين في الجنة، وإن الله تعالى يعطي على الحبة الواحدة من الصدقة مائة حسنة، فلو تصدقنا بسبع حبات لجعل الله في كل حبة مائة حبة.

أي سبعمائة حبة، والحسنة بعشر أمثالها، أي سبع آلاف حسنة، والله يزيد ويضاعف لمن يشاء، لأن الله تعالى ذو الفضل العظيم.

فقال الأوسط:

﴿ وماذا أيضاً عن أجر المتصدقين يا أبي؟ ﴾

﴿ يعطينهم الله تعالى أجراً لم يُعطه لأحدٍ من الناس. ﴾

فإن الشمس يوم القيمة تكون قريبة من الرؤوس فيحتاج
الناس إلى الظل وإلى الماء من كثرة العطش، فلا يجدون إلا
ظلّ عرش الله تعالى.

ومن السبعة الذين يجعلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا
ظله: رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماليه ما تُنفق
يمينه.

فقال الولد الأصغر ساخراً: ولكننا في الدنيا نحتاج إلى
المال لا الحسنات.

فرد الأوسط: ولكننا في الآخرة لا نحتاج إلا للحسنات،
والآخرة خير وأبقى، وحينما تقف أمام الله لن ينفع المال ولا
الغني لأنه سيزول ويذهب بموتك.

فقال الشيخ الصالح:

﴿اعلموا أن من لم يخرج زكاة المال جعله الله تعالى يوم
القيمة عبرة وعظة، وعذبه عذاباً أليماً، فمانع الزكاة يُحبس يوم

القيامة في قفص من النار يقضى الله بين الخلائق جمِيعاً من
لدُنَ آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ حتى آخر من يموت من الناس.

ثم ينظر الله في أمر مانع الزكاة ثم تتحول أمواله بعد ذلك
إلى طُوقٍ من نار على رقبته، وتوقد النار على كنزه من الذهب
والفضة ثم يُكوى بها جبهته، وجنبه، وظهره.

فقال الأخ الأكبر دون أن يسمعه أبوه:

﴿ بل سأتب قبل الموت وسيغفر الله لي، فأتمت بالمال
في الدنيا، وبالجنة في الآخرة. ﴾

وإن كان أبوه لا يسمعه، فإن الله تعالى يسمعه وهو الذي
يسمع كل الأصوات لا تخفي عليه لأنَّه السميع البصير،
وإن الله لا يتوب على من صمم على الذنب، ونسى أن الله
جعل التوبة للذين ينورون التوبة لا الذين ينورون المعصية.

ثم تفرق الجميع حين حان موعد الصلاة، وحينما سجد
الشيخ الصالح كان دعاً له:
﴿ اللهم اهد أبنائي !! ﴾

﴿أوْصِيكُمْ بِالْفَقَرَاءِ خَيْرًا، وَبِأَلَاّ تَنْسُوا حَقَّ اللَّهِ مِنَ الزَّكَاةِ﴾
في جنتنا.

كانت هذه هي كلمات الشيخ الصالح على فراش المرض، الذي تحول بعد قليل إلى فراش الموت حيث شاء الله تعالى أن يموت الرجل الطيب صاحب الجنة قبل أن يأتي وقت الحصاد بقليل.

وعاد الإخوة الثلاثة بعد أن دفنوا أباهم، فبكوا على رحيله، وحزنوا لفراقه، ثم ذهبوا بعد ذلك كل إلى حيث ينام.

فلما أصبح الصُّبح اتجهوا إلى (الجنة) حيث بدءوا في إعداد كل شيء لموسم الحصاد الذي اقترب وقته.

وجهزوا حدائقهم لاستقبال هذا الموسم سعداء بما قد أخر جته (الجنة) من ثمار وفيرة.

لقد كانت الشمار على الشجر كأنها نجوم تضيء السماء، أو مصابيح تُزين هذه الأشجار، وكان العطاء وفيراً، والرزق كثيراً، فراح كل منهم ينظر إلى هذه (الجنة) ويتمنى لو كان أبوهم حياً لِيشارِكُهم فرحتهم بهذه الشمار الكثيرة.

وعاد الثلاثة إلى دارهم، وبدأ الحديث يدور بينهم.

فقال الأَخ الأَكْبَر:

﴿عَلَامٌ﴾^(١) نُعْطِي أَمْوَالَنَا هُؤُلَاءِ الْمَسَاكِينُ؟!

فقال الأَوْسَط: هذا حق الله وقد وصانا الله به،

وكذلك وصاك أبوك قبل موته.

الأَصْغَر: لقد كان أبونا أحمق، كان يعطي ثماره وماله للفقراء، ولو بعنا هذه الثمار لصِرَنَا أَغْنِيَ الْأَغْنِيَاءِ، ووفرنا مالاً كثيراً.

فرد الأَوْسَط: تَسْبُبُ أَبَاكَ وَتَتَهَمِّهُ بِالْحَمَاقَةِ، وَتَرِيدُ مَنْعِ الزَّكَاةِ؟!

فقال الأَكْبَر: لا تَسْبُبُ أَبَاكَ فهذا خطأ منك، ولكنك على الحق إذا قلت: لن نعطي الفقراء هذا العام من الثمار شيئاً.

الأَوْسَط: كيف؟ كيف تمنع أمراً أمرنا الله به، أنسىت كل ما قيل في هذا الأمر؟!

(١) عَلَامٌ: على أي شيء، ولماذا؟

الأصغر: إنه أخوك الأكبر، فاستمع إلى ما يقول،نفذ أمره،
وإلا حرمناك أنت الآخر من هذه الثمار.

الأكبر: يا أخي... إنه مالنا، وأبوك يرحمه الله قد أخرج
الزكاة لسنوات طويلة، سوف نحتفظ بهذه الأموال هذا العام
فقط، وبعد ذلك سنخرج هذه الأموال في كل عام.

الأوسط: لا تفعل يا أخي، فإن من منع الزكاة مرة يمنعها
ألف مرة.

الأصغر: الزكاة... حق الله... الفقراء، دعك من هذا، وضع
يدك في يدنا سنصير أغنياء، ستصبح عندنا الأموال والثمار،
وكفى الفقراء ما قد نالوا من الزكاة من قبل.

الأكبر: لقد خطرت في بالي فكرة.

الأصغر: فما هي؟

الأكبر: سنقوم بعملية الحصاد ليلاً، فنجني الثمار قبل
الصباح، وقبل دخول الفقراء والمساكين، فإذا جاء الفقراء
صباحاً لم يجدوا شيئاً من الثمار، فعادوا بلا ثمار، و فعلنا نحن
ما نريد.

الأوسط: يا أخي اتق الله، ألا تسبحون الله، وتشكرن على ما أعطاكم من النعمة، وتستغفرون له عن هذا.

الأصغر: سنتغفر لكن بعد الحصاد.

الحديقة تحترق

أسدل^(١) الليل ظلامه على الكون حتى صار الناس لا يرون بعضهم البعض من شدة الظلمات في هذه الليلة.

ومن بيت الشيخ الصالح انطلق الإخوة الثلاثة وهم يتخافتون^(٢) خوفاً من سماع أحدٍ من الفقراء بهم.

فقد كان أبوهم رَحْمَةُ اللَّهِ يدعوا الفقراء يوم الحصاد وينبئهم بموعده.

خوفاً من أن يبوح الأخ الأوسط بالسر أقسام أخواه بالله لا يدخلنها اليوم عليهم مسكين، لعلهم أن هذا الأخ سير بقسمهم ويطيعهم، وصاروا على حَرَدٍ^(٣) قادرين وراح كل

(١) أسدل: أرخي، فكان الظلام كالستار للكون.

(٢) يتخافتون: يخفون كلامهم ويجعلونه سرّاً ثالثاً يعلم بهم أحد.

(٣) حَرَد: منع وقصد، يقصد أنهم صاروا قاصدين لمنع الزكاة.

منهم يُمْنِي نفسه بالمال الوفير الذي سيدخل خزائنه بعد بيعهم للشمار، فإذا دخل المال، اشتري به بضائع وباعها، فزاد المال وزاد حتى صار جبلاً من المال فاشترى بدلاً من الحديقة ألف حديقة، وصار الناس عبيداً وخدماً.

وساروا بأحلامهم حتى وصلوا إلى الحديقة، فإذا بالظلم الشديد لا يكاد أحدهم يرى يده إذا أخرجها من جيبه، ثم نادى الأخ الأكبر.

﴿ ما هذا الظلام؟ إني لا أرى باب الحديقة. ﴾

﴿ قال الأصغر: إنا لضالون، ضللنا الطريق. ﴾

فقال الأوسط: بل نحن محرومون، حرمنا الله تعالى ثمار الحديقة، ألا ترون مكان الحديقة الآن قد صار أرضاً محترقة، إن الله تعالى قد عاقبنا الآن فأحرق الجنة التي تعب أبوكم فيها، وأردتم منع الزكاة منها، ألم أقل لكم لو لا تُسبحون الله وتشكرونه؟!؟

وهنا علم الأخوان بالذنب الذي فعلاه فقالا:

سبحان ربنا إنا كُنا ظالمين.

ثم بدءوا يتلاؤ مون^(١)، فقالوا:

يا ويلنا إنا كُنا طاغين، ظالمين، وعسى الله أن يُبَدِّلَنَا^(٢) خيرًا من جتننا هذه، فقد تُبنا إلى الله، وإنما إلى ربنا راغبون.

ولكنهم ندموا حيث لا ينفع الندم، واعترفوا بالذنب بعد العقوبة، ويا ليتهم أخرجوا زكاة مالهم كما أمرهم الله تعالى !!



(١) يتلاؤ مون: من اللوم وهو العِتاب والتأنيب والتوبية.

(٢) يُبَدِّلَنَا: يُعطينا غيرها.

قصة

قارون

كان قارون من قوم موسى عليه السلام من بنى إسرائيل، وكان يحقد على نبي الله موسى لأن الله اختاره للنبوة والرسالة، وكان قارون رجلاً فقيراً ليس لديه أموال، ولا كنوز، ولا خدم. ومررت الأيام على قارون حتى أعطاه الله من فضله، فرزقه المال الكثير وآتاه من الكنوز العظيمة ما إن مفاتحة لتنوء بالعصبة أولي القوة^(١).

إلا أن قارون بدلاً من أن يشكر ربه ويخرج صدقة ماله بغي^(٢) على قومه فتكبر عليهم وظلمهم وطلب أن تكون له الكلمة في بنى إسرائيل بدلاً من نبي الله موسى عليه السلام ، فقد فضل قارون المال والغنى على النبوة.

ونسى أن المال إنما هو الله يرزق به من يشاء، وأن النبوة هي

(١) أي أن المفاتيح والخزائن كانت تقل على الجماعة الكثيرة إذا أرادوا حملها فلا يستطيعون ذلك.

(٢) أي ظلمهم.

حق الله تعالى يجعلها من يشاء من عباده الصالحين، فكرهه قومه
بعد أن أحبوه.

وذات يوم خرج قارون في موكب عظيم، يلبس أفخر الثياب،
تجري أمامه الخيول، والإبل، وحول موكبه الخدم والخشم فنظر
إليه الناس وقد دهشوا حتى قال الذين يريدون الحياة الدنيا^(١).

يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم. فقال
العلماء من بنى إسرائيل:

وilykum، ثواب الله وجنته ورضاه خير لمن آمن وعمل
صالحاً، ولا يُلقاها^(٢) إلا الصالحون وجاءه من قومه بعض
الصالحين فرأوه يشرب الخمر، ويفسد في الأرض ويرتكب
الفاحشة فقالوا له:

لا تفرح بما أطاك الله، وتتکبر على غيرك، فالله لا
يحب الفرحين المتكبرين، ولا تنس نصيبك من الدنيا فخذ
حلالها ودع^(٣) حرامها، وابتغ فيما أطاك الله الدار الآخرة

(١) أي لا يفكرون إلا في المال فقط.

(٢) أي لا يفوز بثواب الله ورضاه إلا المؤمنون.

(٣) دع: اترك.

وأحسن كما أحسن الله إليك، ولا تبغ الفساد في الأرض
إن الله لا يحب المفسدين.

وكان الغرور قد تملّك قلب قارون، وتسليط الشيطان على
قلبه فقال: لقد اكتسبت هذا المال بجهدي وعلمي، وليس
لأحد فيه نصيب، والله يحبني ولذلك أعطاني المال الوفير،
ولن أعطي لأحد منه شيئاً.

فنسحّه العلماء فقالوا: إن الله قد أهلك من قبلك مَنْ
هو أشد منك قوة، وأكثر جمعاً^(١).

ثم تركوه وانصرفوا

الأرض تتبع قارون وكنزه

قارون وماله، وكنزه، وموكبها، وزينته هذا ما يشغل كثيراً
من رجال بني إسرائيل الذين كانوا يرون قارون كل يوم يخرج
بموكبها وزينتها ومالها عليهم فتمنوا أن لو أعطاهم الله المال كما
أعطاه لقارون الغني صاحب الحظ العظيم.

(١) أي أن الله أهلك من هو أكثر منك غروراً، وملاعاً، وولداً وهو قادر على
هلاكك أنت أيضاً.

واشتد حقد قارون على نبي الله موسى عليه السلام وعلى علماء بنى إسرائيل.

وببدأ يدبر المؤامرات والخطط للتخلص من موسى عليه السلام وكثرت جرائمه وفساده وتكبره على الله وعلى الناس فجاءت ساعة الصفر واللحظات الأخيرة.

فخسف الله الأرض بقارون وقصره وماله وابتلعته، فلم يكن له من أنصار وأعوان من دون الله عزوجل، فلم يمنعه من قدر الله أحد، وما كان من المتصرين.

وراح أصحاب الحياة الدنيا الذين تمنوا مكان قارون بالأمس يضربون كفأ بكف ويقولون:

وَيَكَانَ^(١) اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ، وَلَوْلَا أَنْ مَنَّ^(٢) اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بَنَاهُ، وَيَكَانَهُ لَا يَفْلُحُ الْكَافِرُونَ.
ومات قارون وماله وغروه.

(١) ويَكَانَ: كلمة للتعجب.

(٢) يَبْسُطُ: يوسع، يقدر: يضيق، مَنَّ: أعطانا.

قصةٌ

الخضر عليه السلام

في يوم من الأيام وقف النبي الله موسى عليه السلام يخطب في بني إسرائيل، فقال له رجل: يا موسى من أعلم أهل الأرض، فقال موسى: أنا، فعتب الله على موسى؛ لأنَّه لم يُرِدَ العلم إلى الله، ثم أمره الله أن يذهب إلى رجل عنده علم، ليس عند موسى عليه السلام، وهذا الرجل هو الخضر، وأمره الله أن يأخذ معه حوتا فعندما يفقد الحوت ويضيع منه ففي هذا المكان سوف يجد الخضر عليه السلام.

وأسرع موسى عليه السلام، والشوق يملأ قلبه للقاء هذا العبد المؤمن الذي علّمه الله من العلم ما لم يعلمه موسى عليه السلام، فنادى غلامه وفتاه (يوشع بن نون) وأمره أن يصطاد حوتاً ويضعه في مكتل ففعل.

ثم بدأت الرحلة العلمية لنبي الله وفتاه يبحثان عن عبد الله الأكثر علمًا !!

موسى يبحث عن الخضر

لم يكن موسى عليه السلام من محبي المغامرات أو الأسفار^(١) قدر ما كان يحب العلم ويريد الحصول عليه ولو كان في آخر بلاد العالم من أجل ذلك خرج مع فتاه (يوشع بن نون) في البحث عن العبد الصالح الذي علّمه الله من علمه، وهما هو موسى وفتاه قد وصلا إلى مجمع البحرين.

وبجوار صخرة كبيرة نام موسى وفتاه حيث حلّ بهما التعب الشديد، أثناء نومهما خرج الحوت من المكتل وكانت الصخرة قريبة من البحر، فعاد الحوت سريعاً إلى البحر مسروراً بعودة الحياة إليه. وقام موسى من نومه هو وغلامه، وواصل السير في مجمع البحرين بحثاً عن العبد الصالح، وأحس موسى وفتاه بالجوع الشديد فقال موسى:

﴿آتَنَا غَدَاءنَا لَقْدَ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾^(٢).

وفتح (يوشع) المكتل فلم يجد الحوت، فظن أنه نسيه عند الصخرة فقال:

(١) الأسفار: جمع (سفر) وهي الرحلات.

(٢) أي وجدنا التعب من كثرة السفر.

﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْيَنَا إِلَى الصَّخْرَةِ، فَإِنِّي نَسِيْتُ الْحَوْتَ، وَمَا
أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرْهُ، وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَّبًا﴾^(١).
وعلم موسى عليه السلام أنه سيجد العبد الصالح هناك كما
أخبره الله تعالى فإن علامه ذلك أن يفقد الحوت، وحيث فقد
الحوت لقيه وتعلم منه.

وعاد موسى وفتاه إلى الصخرة ليجدا عجباً من عجائب الله
تعالى.

لقاء موسى مع الخضر

كان الخضر عليه السلام عبداً صالحًا من عباد الله علّمه الله علمًا
لا يعرفه أحد من البشر، وكان الخضر قد شرب من عين ماء
تُسمى (عين الحياة) من شرب منها طال عمره.
ولقد عاش الخضر حتى أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
ومات بعدها.

وكان قد جلس على فروة بيضاء فإذا بها تهتز خضراء من
ورائه فسمى الخضر.

(١) أي نعود إلى الصخرة التي نمنا عندها لعلنا نجد الحوت هناك وسبيله:
طريقه.

وكان يجول في البلاد ينفذ أمر الله تعالى، ويدعو العباد إلى عبادة رب العباد.

وعند مجمع البحرين، وتحت الصخرة كان الخضر يصلي لله تعالى متغطياً بثوب أحمر فسلم عليه موسى فقال:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فرد الخضر التحية: وعليك السلام، من أنت؟
قال: موسى.

موسى نَبِيُّ بَنِي إِسْرَائِيلَ؟

قال: نعم، وما اسم العبد الصالح؟

الخضر يا موسى فما جاء بك؟

قال أَتَيْتُكَ عَلَى أَنْ تَعْلَمَنِي مِنَ الْعِلْمِ الَّذِي عَلِمَ اللَّهُ إِيَاهُ.

قال الخضر: يا موسى إني على علمٍ علمني الله ما لا تعلمه أنت، وأنت على علمٍ علمك الله إيه لا أعلمه أنا، وإنك لن تستطيع الصبر على ما ترى يا موسى، وكيف تصبر على علمٍ لا تعرف عنه شيئاً.

**فقال موسى: ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك
أمرًا.**

**قال: فإن اتبعتنني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه
ذكرًا^(١).**

فكان هذا هو الشرط الذي قبله موسى، يسير مع الخضر
ليرى ويسمع دون أن يتكلم، حتى يتحدث معه الخضر في
النهاية ويدرك له أسرار هذا العلم، ومضى العبد الصالح
والنبي المرسل، ويا للعلم الذي صار به الأنبياء تلامذة لبعض
العبداد!!

وأي رحلة أروع وأجمل من رحلة تلميذه النبي، وأستاذها
عبد صالح، وبدأت رحلة العجائب.

الرحلة العجيبة

انطلق موسى والخضر عَلَيْهِمَا السَّلَامُ حتى وصلا إلى شاطئ
البحر.

(١) أي حتى أكلمك أنا أولًا عنه.

فمرّت سفينه، فنادى الخضر عليهم فعرفوه، فركب معهم
هو وموسى عليه السلام.

وعرف أصحاب السفينه الخضر قبلوا أن يحملوه معهم على
سفينه بغير أجرٍ، وانتظر موسى ما سيعلمهم هذا العبد الصالح،
فوقف معه على طرف السفينه، وجاء عصفور فوق حرف
السفينه ثم مد منقاره في البحر فشرب قطرة ماء فلم تعجبه
ملوحة الماء فطار بعيداً فقال الخضر لموسى:

ياموسى إن مثل علمك وعلمك وعلم الناس جميعاً في
علم الله مثل نقرة هذا العصفور في البحر.

وأدرك موسى أنه أمام حكيم من الحكماء، فازداد إعجاباً
وتقديراً للخضر، ووسط هذا الإعجاب تحدث مفاجأة! وبينما
 أصحاب السفينه كانوا فقراء مساكين - منشغلين بالصيد، إذا
 بالخضر يقصد إلى لوح من ألواح السفينه فيخلعه.

وهنا ثار موسى وهاج وقال:

قوم حملونا بغير نول، تخلع لوحًا من سفيتهم فتخرقها،
لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمراً^(١).

(١) تخرقها: تشقب، إمراً: شيئاً منكراً.

ولكن الخضر نظر في طمأنينة وسكينة فقال
لموسى:

﴿أَلَمْ أَقْلُ لَكَ يَا مُوسَى إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِعَ مَعِي صَبْرًا﴾
فتذكر موسى الشرط والوعيد الذي قطعه على نفسه
فلا سؤال ولا اعتراض، فقال:

﴿لَا تَؤَاخِذنِي بِمَا نَسِيْتَ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾^(١).
ثم انطلق من جديد، فقد غفر الخضر لموسى نسيانه في
المرة الأولى.

الخضر يقتل الغلام

النسيان والتسرع والعجلة عيوب الجنس البشري، فلقد
نسي آدم فأكل من الشجرة وتعجل أمر الله تعالى فكان عقابه
أن يهبط إلى الأرض، وقد ورث كلبني آدم هذه الصفة حتى
موسى عليه السلام نسي ما تعهد به للخضر بأن لا يسأله عن شيء
حتى يفسر هو حقيقة الأمور، وقد عذر الخضر موسى.

(١) أي لا تحملني ما لا طاقة لي به.

ثم انطلق به ليعلمه درسًا جديداً، ويطلعه على سرٍ أكثر عجباً.

نزل الخضر وموسى من السفينة إلى قرية من القرى فوجداً صبياناً يلعبون ويمرحون، كأنهم الملائكة في برأتهم لم يعرفوا الخطأ من الصحة بعد.

فإذا بالخضر يختار أجمل الصبيان الذين يلعبون فيحدثه في أذنه فيسير معه الطفل حتى إذا كان بعيداً عن أعين الناس أخذ رأس الطفل فقتله. ورأه موسى وهو يفعل هذا فصرخ، وهاج، وماج، وصاح، وقال:

﴿أَقْتُلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جَئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾^(١).

إن هذه الأمور الصعبة لا يفهمها موسى عليه السلام، ولو كان أحدنا مكانه لفعل ما فعل، ولكن الخضر لا يفعل شيئاً إلا بأمر الله تعالى، فنظر الخضر إلى موسى قائلاً له:

﴿أَلَمْ أَقْلِ لَكَ لَنْ تَسْتَطِعَ مَعِي صَبَرًا﴾

(١) أي قتلت طفلاً بريئاً، روحه ظاهرة دون وجه حق، فهو فعل خبيث.

فقال موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ خَجْلًا مَا فَعَلَ:

إن سألك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني
عذرًا^(١).

ولولا هذه الكلمة التي قالها موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ما قالها فقد
كنا ننتظر العجائب الكثيرة من هذه الرحلة، ولكنه شرط وضعه
موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ على نفسه، ظنًا منه أنه لن ينسى مرة أخرى لكن
كيف ولقد نسي أبوه آدم من قبل، فنسى ذريته وكان الإنسان
عاجولاً.

الخضر والغلامان

انطلق موسى والخضر ليواصل رحلة الغرائب والعجائب
حتى وصلا إلى قرية من القرى وأوشك الجوع أن يقتلهم.

فراحوا يطلبان من أهل هذه القرية الطعام خاصة أن موسى
عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يأكل حين هرب الحوت من المكتل، وكان أهل القرية

(١) أي أني إذا سألك عن أمر من الأمور فلن أرافقك في الرحلة فقد سألك كثيراً
ولك العذر في ذلك.

بخلاء فلم يضيقوهما^(١)، فصبر نبي الله موسى حتى وصل به الخضر إلى جدار قديم أوشك على السقوط والانهيار، فقال الخضر لموسى.

ساعدنـي في بناء هذا الجدار.

ورغم جوعه إلا أنه سكت حتى لا يفقد الصحبة في هذه الرحلة مع هذا الرجل الصالح فساعدـه وأعـانـه حتى بناه، ولما انتهـيا من البناء قال موسى.

قوم طلبـنا منهم الطعام والضيافة فلم يضيـفـونـا، ولو شـئـت لا تـخـذـت عليهـ أـجـراـ^(٢).

فقالـ الخـضرـ: هـذـا فـرـاقـ^(٣) بيـنـي وـبـيـنـكـ.

وكانـ مـوسـى عـلـيـهـ السـلـامـ قدـ نـدـمـ عـلـىـ ماـ قـالـ وـتـمـنـىـ لوـ طـالـتـ هذهـ الرـحـلـةـ، ثـمـ قـالـ الخـضرـ.

سـأـبـيـكـ بـتـأـوـيلـ مـاـ لـمـ تـسـطـعـ عـلـيـهـ صـبـرـ^(٤).

(١) يـضـيـفـوهـمـاـ: يـقـومـانـ بـوـاجـبـ الضـيـافـةـ وـهـوـ الـكـرـمـ وـعـكـسـهـ الـبـخـلـ.

(٢) أيـ: تـطـلـبـ أـجـراـ عـلـىـ بنـاءـ هـذـاـ الجـارـ.

(٣) فـرـاقـ: نـهاـيـةـ الرـحـلـةـ.

(٤) أيـ سـأـخـبـرـكـ بـتـفـسـيرـ مـاـ رـأـيـتـ.

أما السفينة فقد كانت لمساكين فقراء يعملون في البحر،
وكان وراءهم ملك ظالم هو (هُدَد بْن بُدْر) يأخذ كل سفينة
غصباً أي رغمما عن أصحابها لتكون ملكاً له، فإذا رأى عيّاً في
السفينة تركها ولم يأخذها.

ولقد جاء بعد نزولنا من السفينة فوجدها قد خُرقت فتركها.
فكان حرق السفينة سبباً في نجاة أصحابها لا غرقهم !!

فتعجب النبي الله موسى الذي لا يعلم غيب الله تعالى
وكثيراً ما يغتر بالإنسان بعقله وهو لا يدرى حكمة الله تعالى
في كل فعل من الأفعال حتى ولو كان فيه التعب في بعض
الأحوال.

وأما الغلام واسمه (جي سور) فكان أبواه مؤمنين وأما هو
فإن تركه الله ليكبر لأصبح كافراً، وسيعرض الله والديه بولدٍ
آخر خيراً منه يكون مؤمناً لا يتبعهما.

وهكذا كان الموت علاجاً لهذين الأبوين المؤمنين رغم
الحزن الشديد الذي صاروا إليه، فيالرحمة الله تعالى الرحيم
بالعبد أكثر من الأم بولدها.

وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان أبوهما صالحًا، وكان تحت هذا الجدار كنز وضعه أبوهما لهما.

وقد دعا أبوهما الله ليجدا الكنز فاستجاب الله لدعائه فأمرني بالذهاب إلى هناك لأبني الجدار قبل السقوط، فإذا كبرا وجدا الكنز، وهذا يا موسى تأويل ما لم تصبر عليه.

وفارق الخضر موسى، وفارقته موسى وعاد إلىبني إسرائيل بعد هذه الرحلة بعلم جديد، وخير كثير، سفينة ينزع لوحها، و طفل يُقتل، وجدار يُبنى.

وبعد زمان طويل يقول رسول الله ﷺ: «لوددنا لو صبر موسى حتى نرى العجب» وكلنا كان يود ذلك.



قصة

العجل والسامري

أو حي الله تعالى إلى موسى عليه السلام أن يذهب إلى أعلى جبل الطور لينزل الله تعالى عليه شريعته ويعلمه التوراة وفيها الهدى والصلاح لبني إسرائيل.

فاستعد موسى عليه السلام للقاء الله تعالى، ووصى موسى أخاه هارون وكان نبياً وزيراً لموسى عليه السلام أو صاه أن يحفظ بني إسرائيل في غيبته وأن يدير شئونهم ويعلمهم ما جهلوا من شريعة الله، وعرفه موسى أن مدة غيابه ثلاثون يوماً.

وذهب موسى إلى ربه عزوجل فصعد جبل الطور، وهناك تنزلت عليه شريعة الله، وكان موسى صائماً مدة ثلاثة أيام فأحس بأن رائحة فمه قد تغيرت، فجاء بسؤال⁽¹⁾ فنظف أسنانه، فسأله الله تعالى: لم فعلت هذا؟

فقال: يا رب تغيير رائحة فمي.

(1) السوال: عود صغير من شجر الأراك ينطف بـ الفم واستخدامه سُنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقال الله تعالى: يا موسى إن رائحة فم الصائم عندي
أطيب من ريح المسك.

ثم أمره أن يصوم عشرة أيام أخرى فصار عدد الميقات
مع الله أربعين ليلةً بالتهام والكمال.

ولقد كلام الله موسى، وكلمه موسى، فأحسنَ موسى بحلوه
القرب من الله فقال:

رب أريد النّظر إليك ورؤيتك سبحانه. فقال الله
تعالى:

يا موسى إنك لن تراني، ولكن انظر إلى الجبل (جبل
الطور) فإن ظلّ مكانه فسوف تراني.

فلما تجلى الله تعالى للجبل اهتز الجبل وتزلزل وصار
دَكَاءً متساوياً بالأرض، فأغمي على موسى عَيْنَهُ السَّلَامُ.

فلما أفاق موسى علم أن المؤمنين لن يروا الله في الدنيا ولكن
يرونه في الآخرة إذا دخلوا الجنة، فقال موسى.

يا رب سبحانه تُبْتُ إليك وأنا أول المؤمنين.

فأعطاه الله تعالى الألواح التي كتبت فيها التوراة وفيها
هدى ورحمة لبني إسرائيل.

وكانت تعاليمها (لا تسرق - لا تزن - لا تشهد على
صاحبك شهادة زور - اعبد الله وحده لا شريك له - لا تقتل
- أطع أباك وأمك حتى يطول عمرك - لا تُمدن عينك إلى بيت
صاحبك، ولا تتمنَّ امرأته ولا عبده - أي لا تحسده).

وفرح موسى بالألواح، وأراد أن يطبقها إلى قومه إلا أن
الله تعالى أخبره خبراً جعله حزيناً فيا ترى ما الخبر؟!

حجل من ذهب

طلب اليهود من المصريات أن يعطيني الذهب والحلبي
لكي يزين به في عيدهم على أن يُعدنه مرة أخرى إليهم.

ولكن كان في نية اليهوديات سرقة الذهب من الخواتم،
والأقراط^(١)، والخلالخيل وغيرها من زينة النساء.

(١) جمع قرط وهو ما تضعه المرأة من حلبي في أذنها.

ولأن بنى إسرائيل أغبياء، فقد استطاع أحدهم وهو (السامري) أن يسرق ذهبهم في حيلة من حيله الشيطانية.

فقد جمع هذا الكافر الذهب من اليهوديات ثم وضعه في النار وصنع منه عجلًا ذهبيًّا، وكان قد جعل جوف العجل مفتوحًا من ناحيتين.

فإذا دخل الهواء في بطنه خرج له صوت كأنه (الخواز) وهو صوت العجل، فظنَّ اليهود أن هذا العجل هو الإله فقال لهم السامري.

﴿هذا إلهكم وإله موسى﴾

واستغل فرصة غياب موسى مُعْسِن عشرة أيام أخرى فقال: ﴿إن موسى قد مات وهذا إلهكم وإلهه فاسجدوا له﴾ فأطاعوه بکفرهم وسجدوا له إلا هارون ومعه بعض المؤمنين الذين رفضوا السجود لهذا الصنم الذهبي الذي عبده اليهود عبيد المال والذهب.

ولما أراد موسى الرجوع إلى قومه أخبره الله تعالى بعبادة قومه للعجل وسجودهم له فحزن موسى حزنًا شديداً.

وسريعاً ما عاد إلى هناك، فرأى العجل، فظنّ أنّ هارون قد عبد العجل معهم فأمسك به وراح يخنقه ويقول:

﴿لماذا تركتهم يعبدون العجل يا هارون؟﴾

هل رضيت بهذا؟

فقال هارون: يا موسى، يا ابن أمي لا تفعل بي هذا فوالله لقد نصحتهم ونهيتمهم ولكنهم صمموا على هذا فانتظرتك حتى تعود بأمر الله فيهم.

فأحضر هارون (السامري) فقال له موسى:

﴿غضب الله عليك يا سامري فاذهب فإن عقابك أن يُصييك الله بمرض كلما وضعت يدك على جسدك سقط جلدك حتى تقول: لا مِسَاسٌ﴾^(١).

وحرق موسى العجل بعد أن وضعه في النار ثم ألقاه في البحر، فبكى بنو إسرائيل حزناً على العجل ثم راحوا فشربوا من الماء الذي ذاب فيه الذهب في البحر... فيا للحمامة.

(١) أي لا يلمسني أحد.

فُضِحَ اللَّهُ أُولَئِكَ بِأَنَّ اصْفَرْتَ شَفَاهُمْ، فَقَالَ
موسى:

﴿يَا قَوْمَ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُمْ بِاتْخَادِكُمُ الْعَجْلَ إِلَّا
مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَإِنَّ عِقَابَكُمْ أَنْ تُقْتَلُوا أَنفُسَكُمْ حَتَّىٰ يَتُوبَ اللَّهُ
عَلَيْكُمْ﴾.

فأمر موسى من عبدوا العجل أن يدخلوا إلى دارٍ مُظلمة،
ثم يربطوا أنفسهم حتى يحضر من لم يعبدوا العجل فيقتلوهم
بالسيوف، وإن علامة قبول الله للتنورة أنه سوف ينزل ظُلمةً حين
نزول، تكون التوبة قد قُبِلتْ، فيكفون عن القتل.

وببدأ من لم يعبد العجل في قتل عَبْدَةَ العجل حتى صرخ
الأطفال على آبائهم، وبكت النساء، ورفعنبي الله موسى
عَلَيْهِ السَّلَامُ يده إلى السماء يدعوه ليرفع هذا البلاء عنبني
إسرائيل.

فاستجاب الله لنبيه وقبل توبتهم فارتفع ظلمة وتاب الله
على من بقي ورحم من مات.

قصةٌ

بقرة بنى إسرائيل

كان هناك رجل من بنى إسرائيل كثير المال، وكان شيخاً عجوزاً، وكان أبناءُ أخيه يتمنون موته حتى يرثوه ويأخذوا ماله، فطال به العمر، فقتلته أحدُ أبناء أخيه ووضعه على الطريق، فلما أصبح الناسُ في أول النهار وجدوا هذا الرجل قتيلاً.

فأخذ بعضهم يصرخ، والآخر يبكي، والآخر يقول: من قتل هذا الرجل..؟

فقال أحدهم: نذهب إلى نبي الله موسى عليه السلام ليبين لنا الحقيقة.

فذهبوا إلى نبي الله موسى عليه السلام فقصوا عليه قصة القتل.

فذهب موسى يناجي ربِّه ويدعوه، ثم عاد إلى قومه فقال: إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة.

فقالوا: بقرة يا موسى، أتتخذنا هزوًّا وتهزاً منا.

فقال نبي الله موسى: أَعُوذ بِالله أَنْ أَكُون مِنَ الْجَاهِلِينَ.

فقالوا: إِذْن ادع اللَّه لَنَا لِيَبْيَن لَنَا شَكْل الْبَقَرَةِ.

فَدَعَا مُوسَى رَبِّه فَقَال: إِنَّ اللَّه يَقُول لَكُمْ: إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ، وَلَا بِكْرٌ، عَوَانٌ^(١) بَيْنَ ذَلِكَ وَلَا إِنَّ مُوسَى يَعْلَم أَنَّهُمْ كَثِيرٌ سَوْا هُمْ قَال: فَاعْلُمُوا مَا تُؤْمِرُونَ.

فقالوا: فادع لنا ربك يبين لنا ما لَوْهَا؟

فَدَعَا مُوسَى رَبِّه ثُمَّ عَاد فَقَال: إِنَّهُ يَقُول إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفَرَاءٌ فَاقِعٌ^(٢) لَوْهَا تُسْرَ النَّاظِرِينَ فَلَمَّا تَشَدَّدُوا شَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَلَمْ يَجِدُوا بَقَرَةً بِهَذَا اللَّوْنَ، فَعَادُوا إِلَيْ مُوسَى فَقَالُوا:

ادع لنا ربك يبين لنا إن البقر الأصفر كثير وقد تشابه علينا.

فقال موسى بعد أن دعا ربها: إِنَّهُ يَقُول إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذُلُولٌ تُشِيرُ إِلَيْهَا وَلَا تَسْقِي إِلَيْهَا الْحَرَثُ مُسَلَّمَةٌ لَا شَيْئَةٌ فِيهَا^(٣).

(١) فارض: ليست كبيرة السن، والبكر: ليست صغيرة، عوان وسط فلا هي صغيرة ولا كبيرة.

(٢) فاقع: شديد الصفرة.

(٣) لاذلول: ليست سهلة الانقياد، تشير الأرض: تحرثها للزراعة، مسلمة: سليمة من العيوب، لاشية: صفراء خالصة لا لون آخر فيها غير الأصفر.

فذهبوا فبحثوا عنها واستمر البحث عنها حتى وجدوها
عند غلام كان باراً بوالديه، فأعطاه الله حسن الجزاء فقد باع
البقرة بعشرة أمثال وزنها ذهباً.

المقتول يتكلم

فلما ذبحوها، أمرهم النبي الله موسى أن يأخذوا منها عظمة
فيضربوا بها القتيل ففعلوا.

فقام القتيل ليقول: قتلني ابن أخي هذا الذي يصرخ
وويلظم حتى يرث مالي. ثم مات القتيل مرة أخرى.

ورغم ما رأى بنو إسرائيل من الآيات والمعجزات إلا أنهم
استمروا في إيذاء موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ومات وهو غضبان عليهم.



قصةٌ

الأرض المقدسة

مرت أربعون سنة على بني إسرائيل وهم في أرض التيه لم يخرجوا منها، ماتت فيها أجيال، وولدت أجيال جديدة.

و قبل موت موسى عليه السلام أخذ العهد على من خرج من الأجيال الجديدة مؤمناً بالله لم يسجد لصنم، أو يعبد عجلأً أو يعصي الله، فأمنوا بالله ورسوله.

وأمرهم بالصلاحة والزكاة، والجهاد في سبيل الله، ولكن مات موسى عليه السلام قبل أن يُكمل هذه الرسالة.

وكان الله تعالى قد أوحى إلى موسى قبل موته أن يأخذ الميثاق على هؤلاء المؤمنين ليعمروا الصلاة، ويؤتوا الزكاء، ويؤمنوا بالرسل.

فإذا قاموا بهذه الواجبات، أمرهم بالقتال فأطاعوا فيغفر الله لهم ذنوبهم ويرفع العقاب عنهم جيئاً.

وأسند موسى مهمة التربية إلى يوشع بن نون عليه السلام، فكان يختار من شباب بنى إسرائيل من هم على قدر من القوة

البدنية، وقوة الإيمان حتى يكونوا نواة للجيش الذي سيقاتل في
سبيل الله.

وكان أفضل الشباب اثنى عشر رجلاً، اختارهم موسى
ويوشع بن نون ليكونوا نقباءً على قومهم أي رؤساءً وقادةً،
وحذرهم الله تعالى من عقابه إن خانوا العهد، وضيعوا الميثاق.

فقال لهم: فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء
السبيل.

وكان عدد الائتين عشر تقريباً على عدد قبائل بني إسرائيل،
فقد كانوا اثنى عشر قبيلة على عدد أبناء يعقوب عليه السلام وإخوه
يوسف نبي الله فكان هذا هو جيش الإيمان يقوده يوشع بن نون
إلى الأرض المقدسة وذلك بعد وفاةنبي الله موسى.

أرض العماليق

في أرض العماليق عاش (بلعام بن باعوراء) الرجل الصالح
الذي عرف اسم الله الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أجاب، وإذا سُئِلَ
به أعطى.

فكان رجلاً يحبه قومه، ولكنه انعزل عنهم في صحراء بلاده
يعيش في صومعته بعيداً عن قومه وكفرهم.

ولم يخطر ببال (بلعام) أن يدعوا قومه يوماً إلى الإيمان، واختار
العزلة على دعوة الناس إلى الإيمان بالله الواحد الأحد.

وقد علم العمالق أن جيلاً جديداً من قوم موسى قد خرج
مجاهداً في سبيل الله ليس فيه صفة الجبن التي كانت فيمن قبلهم،
يبحثون عن الموت في سبيل الله ليبلغوا الجنة.

فعلموا أنه لابد من الحيلة والخداع في حربهم ضدبني إسرائيل، فقال شيطان من شياطينهم:

ما علينا إلا أن نذهب إلى بلعام نطلب منه أن يدعو الله عليهم
ليهزموا، فهو مستجاب الدعوة، كلما انقطع المطر عنا ذهبنا إليه
فدعوا الله، فنزل المطر، فلنذهب إليه يدعو الله عليهم.

قال الحكم: فكرة طيبة لنذهب إليه، فقاموا جميعاً للقاء
(بلعام) في صومعته.

بشرة النصر

ما زال جيشبني إسرائيل يضرب في الصحراء بعد أن رفع الله تعالى غضبه عنهم، ولأول مرة يخرجون من أرض التيه منذ أربعين سنة كاملة قضوها في حلقة واحدة يدورون فيها بلا خروج منها ففرحوا وعلموا أن هذه هي بشرة النصر من الله إليهم جميعاً.

وقامنبي الله «يوشع بن نون» يخطب في قومه قائلاً:

يا بنى إسرائيل اذكر وانعمة الله عليكم إذ نجاكم من فرعون وعمله، فقد كان يقتل أبناءكم، ويستحيي نساءكم، ويذلكم بعيداً في أرضه وقصره، ولو لا أنكم آمنتتم بالله على يدنبيه موسى لظللتם إلى الآن في يد فرعون الظالم الذي أغرقه الله في ماء البحر، ونجاكم واحتاركم مؤمنين له.

وظلل عليكم الغمام وأنزل عليكم المن والسلوى.

وجعل منكم ملوكاً، الواحد منكم يملك داراً وخداماً وينزل إليه رزقه من السماء.

ولا تكونوا كالذين قالوا لموسى من قبل: اذهب أنت وربك
فقاتلنا إنا هاهنا قاعدون.

ولكن قاتلوا في سبيل الله عدو الله، حتى تدخلوا إلى الأرض المقدسة، وتنزل عليكم النعمة والبركة، لا الغضب واللعنة، واعلموا أننا لا ننتصر بِعُدَّةٍ^(١)، ولا بِعَدَدٍ، ولكن ننتصر على أعدائنا بالإيمان بالله، والثقة في نصره، فلو عصينا الله لأذلنا، وهزمنا الأعداء فامضوا إلى الأرض المقدسة على بركة الله.

فقال أحد الجنود: يا نبي الله، لماذا الأرض المقدسة بالذات؟ لماذا لا نحارب في أي مكان آخر؟

فقال يوشع: إنها أرض جدكم إبراهيم عليه السلام، وأبيكم يعقوب، و(بيت المقدس) هي أرض لكل المؤمنين لا يسكنها إلا المؤمنون ولذلك فإن الله أمركم أن تطهروها من عبادة الأصنام من العمالق.

فقال آخر: ستكون بيت المقدس لنا طوال الحياة.

(١) عدة آلات والمقصود بها هنا الآلات الحرية.

لَنْ تَكُونَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِينَ فَقَطْ فَإِذَا كَفَرْتُمْ
بِاللَّهِ وَعَصَيْتُمْ نِزْعَهَا اللَّهُ مِنْكُمْ وَلَمْ تَسْتَحْقُوا أَهْلَهَا وَلَا
أَصْحَابَهَا، وَإِنَّمَا هِيَ لِأَهْلِ الإِيمَانِ الَّذِينَ لَا يَعْصُوْنَ اللَّهَ مَا أَمْرَهُمْ
وَلَا يَغْيِرُونَ كَلَامَ اللَّهِ، بَلْ يَطِيعُونَهُ سُبْحَانَهُ.

وَدَبَّتِ الْحَمَاسَةُ فِي جَنْدِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَسَارُوا لِلقاءِ عَدُوِّهِمْ
مِنَ الْعَمَالِيقِ، لَمْ تَرْهِبْهُمْ قُوَّتُهُمْ، وَلَمْ يَفْزُعُوهُمْ مِنْ أَحْجَامِهِمْ
الْكَبِيرَةِ.

بَلْ كَانَ الإِيمَانُ نَشِيدُهُمْ، وَالْحَقُّ مَرَادُهُمْ، وَالشَّهَادَةُ أَمْنِيَّةٌ
لَهُمْ، حَتَّى يَحرُرُوا الْأَرْضَ الْمَقْدِسَةَ مِنْ يَدِ الْكُفَّارِ عِبَادِ الْأَصْنَامِ.

الشمس تتوقف عن الغروب

وَعَلَى الْجَانِبِ الْآخِرِ كَانَ حَاكِمُ الْعَمَالِيقِ وَقُوَّادُهُ قدْ وَصَلُوا
إِلَى صَوْمَعَةً «بَلْعَام» فَقَامُوا إِلَيْهِمْ، فَقَالُوا، إِنْ حاجَتُنَا إِلَيْكَ أَنْ تَدْعُوا
عَلَى جَيْشِ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

فَقَالَ: كَيْفَ ذَلِكَ إِنْ قَائِدُهُمْ نَبِيٌّ وَالنَّبِيُّ ذُو شَأْنٍ مَعَ اللَّهِ،
فَلَا أَمْلِكُ أَنْ أَدْعُوكُمْ عَلَيْهِمْ.

قالوا: بل ستدعونا عليهم ونعطيك المال الوفير، وتكون صاحب شأن فينا، نسمع كلمتك، ويمضي رأيك.

إننا لن نقطع أمراً دونك بعد ذلك، ستصير الرجل الأول في دولتنا يا بُلْعَام.

فنظر بـلـعـام إـلـيـهـمـ، وـقـدـ وـسـوـسـ الشـيـطـانـ لـهـ، فـزـينـ لـهـ مـاـ قـدـ

قالوا، فـطـمـعـ فـيـ الـحـيـاةـ الـدـنـيـاـ وـنـسـىـ مـاـ يـتـنـظـرـ عـنـدـ اللهـ مـنـ الـجـنـةـ

وـالـنـعـيمـ الـذـيـ لـاـ يـزـوـلـ إـذـاـ أـطـاعـ اللهـ، وـعـصـىـ قـوـمـهـ.

وـغـلـبـ عـلـيـهـ شـيـطـانـهـ، فـضـلـ وـأـضـلـ، وـبـاعـ الـآخـرـةـ وـاشـتـرـىـ

الـدـنـيـاـ، وـوـافـقـ عـلـىـ مـاـ طـلـبـوـهـ، ثـمـ رـكـبـ حـمـارـةـ وـسـارـ نـحـوـ مـعـسـكـرـ

بـنـيـ إـسـرـائـيلـ لـيـدـعـوـ عـلـيـهـمـ وـلـكـنـ إـذـاـ بـالـحـمـارـةـ لـاـ تـسـيرـ بـلـ ثـبـتـ فـيـ

مـكـانـهـاـ.

فـضـرـبـهـاـ بـعـصـاهـ حـتـىـ قـامـتـ وـسـارـتـ، وـلـمـ يـكـنـ سـيـرـهـاـ إـلـاـ

قـلـيـلاـ حـتـىـ عـادـتـ لـتـقـفـ فـيـ مـكـانـهـاـ.

بـلـ وـرـقـدـتـ حـمـارـتـهـ فـيـ الـأـرـضـ، فـضـرـبـهـاـ ضـرـبـاـ أـشـدـ مـنـ المـرـةـ

الـأـولـىـ، فـإـذـاـ بـالـحـمـارـةـ تـنـطقـ وـتـقـولـ: يـاـ بـلـعـامـ أـيـنـ تـذـهـبـ؟ إـنـ

الملائكة أمامي تردني وتعيذني، ولا تسمح لي بالسير، أتذهب إلى نبي الله «يوشع» فتدعوا على قومه المؤمنين، لن يكون هذا لك أبداً.

ولكنه تعامل عن آيات الله، وعن هذه الحمارة التي نطق فضر بها ضرباً شديداً، فالمال قد أغراه وهو يريد الرفعة في قومه. حتى وصل إلى جبل يسمى «حسبان» فرأى معسكس بني إسرائيل ويوشع بن نون، فأخذ يدعوه عليهم، ولكن لسانه لا يطيعه الآن، فإذا جاء ليدعوه على يوشع وبني إسرائيل انقلب لسانه فدعا على قومه وعلى نفسه.

فنظر قومه إليه كيف يفعل هذا؟ فجرب ثانية فإذا به يدعوه على نفسه وقومه، فلما جرب ثالثة وقع لسانه على صدره، فعرف أن الله تعالى حافظ للمؤمنين ولن ينصر عاصياً على طائع، ولا كافر على مؤمنٍ.

فقال لقومه: قد ضاعت مني الآخرة، وضاعت مني الدنيا كفرت بالله حين دعوت علىنبي وقومه فأخذ مني اسمه الأعظم.

وفشلت في الدعاء عليهم، فلا مال لي عندكم ولا شوري،
ولكن بقيت الحيلة وال默.

قالوا: كيف نفعل؟

قال: إن الله ليعذب القوم إذا عمت فيهم الفاحشة و فعلوا
ذنباً، فإذا أردتم أن يحل غضب الله على يوشع وقومه، فلا عليكم
إلا أن تزينوا نساءكم، وابعثوهن كباقيات إلى معسكر اليهود من
بني إسرائيل.

فمني وقع رجل من بنى إسرائيل في الفاحشة أرسل الله
عليهم غضبه، فوافقوا على هذا الرأي.

ومرت امرأة منهم اسمها «كِسْبَتِي» برجل من عظماء بنى
إسرائيل، فخلا بها في خيمته ووقع في الفاحشة.

فأنزل الله الطاعون^(١) على بنى إسرائيل فمات منهم سبعون
ألفاً جزاء على وقوع الفاحشة فيهم.

فقام رجل مؤمن اسمه «فَنَحَّاص» وحمل حربته ثم دخل
إلى خيمة الفاجر والفاجرة فطعنها ثم حملهما على حربته، ووقف

(١) الطاعون: مرض وبائي يقتل صاحبه وينتشر بين الناس.

في وسط الميدان يقول: اللهم إني قلت من عصاك، ووقع في الفاحشة، فارفع عنا الطاعون.

ورفع الله عَزَّوجَلَ الطاعون عنبني إسرائيل، ولم يبق إلا المواجهة مع العماليق.

فشل كل محاولات العماليق لهزيمةبني إسرائيل قبل أن يحاربواهم، ولم يبق إلا المواجهة بين الطرفين.

فاما «بُلعام» فقد لعنه الله تعالى حين اختار الأرض الدنيا، ونسى السماء والآخرة حتى صار كالكلب إن تركه يلهث وينبح، أو تضربه يلهث وينبح، صار في الدنيا ملعوناً، وفي الآخرة معذباً.

وجهز يوشع بن نون جيشه لتحرير (بيت المقدس) من الكفار، وتطهيرها منهم بعد أن قطع نهر الأردن، فوصل إلى مدينة أريحا وهزم الحامية هناك.

وكان حصاره لها سته أشهر كاملة، وكانت مدينة حصينة أسوارها عالية، وهي أكثر مدن العماليق سكاناً، فاستطاع بنصر

الله وفضله أن يهزم العمالق فيها، وواصل المسير بعد ذلك يفتح
بلدًا تلو الآخر، ومدينة بعد الأخرى، ويهزم قواد العمالق.

كل هذا ولم يصل بعد إلى بيت المقدس، وكان العمالق يعرفون
أن سقوط بيت المقدس يعني بالنسبة لهم خسارة عظيمة.

فجمعوا جيوشهم، وتعاهدوا على الدفاع عن مدinetهم
ووصل يوشع إلى بيت المقدس بجيشه.

وبدأت المعركة منذ الصباح، ولا صوت فوق صَلِيل^(١)
السيوف، ولا شيء يعلو إلا غبار الرمال المتصاعدة.

وها هي آهات القتلى، وأصوات التكبير تعلو من بنى
إسرائيل، وحمي القتال، واشتعلت المعركة، والعمالق صامدون
وبنو إسرائيل يشدون عليهم، وببدأ القتال في الصباح الباكر،
وامتد طيلة اليوم لا يهدأ، ولا يهدأ العمالق.

وانتصف النهار ولا زالت المعركة تدور، حتى أوشكت
الشمس على الغيب، وكان بنو إسرائيل قد اقتربوا من تحقيق
النصر على عدوهم.

(١) صَلِيل: صوت السيوف.

وَفَكَرَ يُوشِعُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فوجداليوم هو يوم الجمعة، وإذا انتهى القتال، فإنهم لن يقاتلوا عدوهم إلا يوم الأحد، لأن يوم السبت يتغطى فيه اليهود للعبادة فقط، لا يقومون بأي أمر آخر.

ويعني هذا أن جنود العمالق سيجتمعون شملهم من جديد، وتببدأ حرب أخرى، وأُقْفِلَت الأبواب في وجه يوشع إلا باب واحد، وهو باب السماء، فرفع بصره إلى الله تعالى، ونظر إلى الشمس التي أُوْشِكت على الغروب فقال للشمس:

﴿إِنَّكَ مَأْمُورَةٌ وَأَنَا مَأْمُورٌ، اللَّهُمَّ احْبِسْهَا﴾ [أي: امسكها عن الغروب].

واستجاب الله لدعائه فحبس الشمس، ونادى في جنده: إلى النصر يا جند الله. فهاجم بنو إسرائيل أعداءهم هجوماً شديداً حتى هزموا أعداءهم هزيمة منكرة، وقتلوا ملك العمالق وحاكمهم، وجمعوا الغنائم، وكما سبق أن الغنائم قد يليها كانت تجتمع في مكان واحد، ثم تأتي نار بيضاء من السماء تأكلها، فإن لم تنزل النار فإن الله تعالى غاضب عليهم غير راض.

فجمع يوشع الغنائم في مكان واحد وانتظر حتى تنزل النار البيضاء، وانتظر معه بنو إسرائيل، ولكن لم تنزل النار من السماء.

فقال يوشع لبني إسرائيل: إن فيكم الغلول^(١).

فأنكروا جميعاً أن يكون أحدهم قد سرق شيئاً، فقال يوشع فليصافحني كل نقيب قبيلة من الاثنين عشر، فإذا التصقت يد أحدهم عرضاً أين الغلول؟

فبدأ النقباء الاثنين عشر في مصافحته فلصقت يد اثنين منهم في يده، فقال: فيكم أنتم الغلول.

فبحثوا حتى أخر جواله مثل رأس بقرة من ذهب، فأخذها يوشع ووضعها مع بقية الغنائم، فنزل نار من السماء بيضاء حتى أكلت الغنائم، فحمدوا الله تعالى على ذلك، وواصل يوشع المسير ناحية بيت المقدس مع قومه، حتى وصلوا قريباً من أسوارها.

وعلى أسوار بيت المقدس أوحى الله تعالى إلى يوشع أمراً، فقام يوشع في قومه يقول:

(١) اللص.

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَدْخُلُوا بَابَ مَدِينَةِ الْقَدْسِ وَأَنْتُمْ سَاجِدُونَ
لِلَّهِ شَكْرًا عَلَى النَّصْرِ، وَأَن تَقُولُوْنَ! (حِطَّةً).

فَقَالَ أَحَدُهُمْ: وَمَا حِطَّةٌ يَا يَوْشُعَ؟

فَقَالَ: أَيْ يَا رَبَّ حُطْ عَنَا ذَنْبُنَا الَّتِي فَعَلْنَا سَابِقًا.

فَرَدَ آخَرْ قَائِلًا: كُلُّ هَذَا وَلَمْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَنَا ذَنْبُنَا يَا يَوْشُعَ؟

فَقَالَ يَوْشُعَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنْ نَعَمَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَعَلَى قَوْمِكَ
كَثِيرَةً، فَأَطْعِنَ اللَّهَ وَاسْتَغْفِرْهُ.

وَعَادَ الْيَهُودُ لِمَارْسَةِ الْمَهْنَةِ الْقَدِيمَةِ، فَسَخَرُوا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ
تَعَالَى، وَعَزَّمُوا أَمْرًا آخَرَ.

وَلَمَا وَصَلُوا إِلَى الْبَابِ وَجَدُوهُ صَغِيرًا لَا يُسْتَطِيعُونَ الدُّخُولَ
إِلَّا سَجَدًا، فَفَكَرَ بَعْضُهُمْ فِي السُّخْرِيَّةِ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَعَصِيَانِهِ.

وَبَدَلًا مِنَ السُّجُودِ شَكْرًا الرَّبِّيْمُ الَّذِي نَصَرَهُمْ عَلَى أَعْدَائِهِمْ
وَطَاعَتْهُ إِذَا بَهُمْ يَضْعُونَ إِسْتَاهُمْ^(۱) عَلَى الْأَرْضِ لِيَزْحِفُوا عَلَيْهَا
بَدَلًا مِنَ السُّجُودِ عَلَى جَبَاهِهِمْ.

(۱) مؤخرتهم.

وبدلاً من قولهم (حطة) قال فريق منهم: حنطة أي قمح،
وقال الآخر: حبة في شرة. سخرية من أمر الله.

وما أجد الإِنسان الذي رأى نعمة ربه تتنزل عليه منذ قليل
فيعصيه إنها مجرد كلمة، ومجرد سجدة لن تضرهم في شيء.
وغضب الله تعالى عليهم غضباً عظيماً فأرسل عليهم
الطاعون مرة أخرى رجزاً من السماء بکفرهم، فمات منهم عدد
كبير، ماتوا على المعصية والکفر.

فلم يستمعوا لنبיהם ينصحهم، ولم يستجيبوا لربهم
يدعوهم.

ووقف النبي الله يوشع حزيناً آسفًا على ما قد فعلوه، وبخوف
النبي على قومه، وحزنه على الموتى بكى، وكأنهم أبناءه قد
فقدتهم، وتأسف المؤمنون على موت هذه الفئة التي كفرت بالله.
وما استجابت له سبحانه.

ودخلت البقية الباقيه من المؤمنين إلى بيت المقدس، ومعهم
نبي الله يوشع يحكم فيهم بشرعه الله تعالى، وبكتابه في ذلك
الوقت وهو التوراة.

وظل يتحمل أذاهم، وعنادهم، وكفرهم بآيات الله صابراً محتسباً، حتى إذا بلغ من العمر مائة وسبعاً وعشرين سنة توفاه الله تعالى.

و قبل موته لعنبني إسرائيل و دعا عليهم، فهات غاضباً على قومه كما غضب موسى من قبل لأنهم فسقوا، وغيروا كلام الله، وقتلوا الأنبياء بغير حق.

ف عاقبهم الله بأن ضرب عليهم الذلة والمسكنة إلى يوم القيمة.

حتى بعث الله محمدًا ﷺ وأمره بالدعوة إلى الإسلام، وكانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، فكفروا به، وحاولوا قتله، فهزمهم وشردتهم في البلاد.

وعاد بيت المقدس لأهل الإيمان في عهد عمر بن الخطاب حتى انتزعها العصاة من المؤمنين، وتظل حلقة باقية من تحرير بيت المقدس.

﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأً الَّذِي أَتَيْنَاهُ إِيمَانًا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعُهُ
الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْفَارِقِينَ ﴾١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ إِلَيْهَا وَلَنَكِنَّهُ أَخْلَدَ
إِلَى الْأَرْضِ وَأَتَبَعَ هَوَّهُ فَمِثْلُهُ كَمَثْلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلُ عَلَيْهِ يَلْهَثُ
أَوْ تَرْكِهُ يَلْهَثُ ذَلِكَ مَثْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا إِيمَانَنَا فَأَقْصَصُ
الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا إِيمَانَنَا
وَأَنفُسُهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿الْأَعْرَافُ : ١٧٥ - ١٧٧﴾.

